اقليم كردستان العراق الفيدرالي
وزارة التربية

علوم القران

للصف الرابع الاعدادي

(المدارس الأسلامية)

اقليم كوردستان العراق الفدرالي
وزارة التربية

عُلومُ القُرآنِ

للصفِ الرابع الاعدادي
(المدارس الاسلامية)

تاليف :

الدكتور محسن عبدالحميد

الدكتور رشدي عليّان الدكتور غانم قدوري

١٤٢٦ هـ - ٢٧٠٥ كوردي - ٢٠٠٥ م

مطبعة الشموع بغداد

الاشراف على الطبع

جلال عمر رمضان - ابراهيم اسماعيل حسن

الاشراف الفني على الطبع

صباح سعيد عبد الله - كريم مولود حمه صالح

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين ، وعلى آله الطاهرين وصحابته المجاهدين ·

وبعد : فان معرفة علوم القرآن الكريم من أهم مستلزمات الاطلاع على تفسيره وضوابط فهمه ومعرفة حلاله وحرامه ، وادراك جوانب اعجازه وبلاغته ·

فبدون دراسة موضوعات هذا العلم تكون دراسة الكتاب الكريم مبتورة ناقصة ، ويحرم طالب الدراسات العربية والاسلامية من خير كثير ·

ولذلك أدرجت مناهج المعاهد الاسلامية هذا العلم ضمن العلوم الاسلامية التي تدرس فيها لاهميتها البالغة ·

ولقد خصص هذا الجزء الاول للحديث عن أسماء القرآن وموارد اشتقاقها ، وظاهرة الوحي ، وكتابة القرآن وجمعه ، وعلم المكي والمدني ، والقراءات ، وفواتح السور ، وعلم أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ·

ولقد اعتمدنا في كتابة الموضوعات كلها على المصادر المعتبرة، قديما وحديثا ، وذكرنا المصادر المهمة في نهاية الكتاب حتى يبحث عنها الطلاب في المكتبات ، فيزدادوا بقراءة موضوعاتها علما وتحقيقا ·

وان الدوائر المسؤولة في وزارة التربية الموقرة مشكورة على اهتمامها البالغ باعادة النظر في مناهج المعاهد الاسلامية ، وتأليف اللجان لتأليف الكتب الجديدة التي تحقق الاهداف العلمية والتربوية الاسلامية ٠

وكتابنا هذا هو واحد من هذه الكتب الجديدة ، نرجو أن يستفيد منه طلبتنا النجباء ويتخذوا منه قاعدة علمية للانطلاق نحو دراسات رصينة شاملة في مصادرها الأصيلة ٠

ومن الله العون والسداد ٠

المؤلفون

الفصل الأول

أسماء القرآن وموارد اشتقاقها

وفيـه :

ـ أسماء القرآن

ـ موارد اشتقاق أسماء القرآن

أسماء القرآن

من الأمور المهدة لدراسة علـوم القرآن أن تعرف الأسماء التي سَمَّى الله تعالى بها كلامه الذي أنزله على رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن تعرف موارد اشتقاقها وما توحيه من معانٍ ودلالاتَ .

قال الطبري في تفسيره : (إن الله تعالى جَلَّ ذكـره ـ سمَّى تنزيله الذي أنزله على عبده محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماء أربعـة :

منها : (القرآن) ، فقال في تَسْمِيَتِهِ إياه بذلك في تنزيله: (نحن نَقُصُّ عليك أحسنَ القصصِ بما أوحينااليك هذا القرآن، وانْ كنتَ من قبله لمـن الغافلين)[1] . وقال : (ان هذا القرآنَ يَقُصُّ على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون)[2] .

ومنها : (الفرقـان) ، قال ـ جل ثناؤه ـ في وحيه الى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسميه بذلك : (تباركَ الذي نَزَّل الفرقان على عبده ليكونَ للعالمين نذيراً)[3] .

ومنها : (الكتاب) ، قال ـ تبارك اسمه ـ في تسميته اياه به: (الحمدُ لله الذي أنْزلَ على عبده الكتابَ ، ولم يجعلْ له عوجاً* قَيِّماً)[4] .

---

(١) سورة يوسف . الآية : ٣ .
(٢) سورة النمل . الآية : ٧٦ .
(٣) سورة الفرقان . الآية : ١ .
(٤) سورة الكهف . الآية : ١و٢ .

ومنها : (الذكر) • قال تعالى ذكره ـ في تسميته إياه بـه : (انّا نحن نَزّلْنا الذكرَ ، وانا له لحافظونَ)[٥] •

ولكل اسم من أسمائه في كلام العرب معنىً ووجه" غير معنَى الآخر ووجهه)[٦] •

والآيات التي وردت فيها تلك الأسماء الأربعة ، في كتاب الله تعالى أكثر مما ذكره الطبري ، وإنما نكتفي بها على سبيل التمثيل لا الحصر •

والمتتبع لتلك الأسماء في كتاب الله تعالى يجد أن اسم القرآن وحده ، دون الأسماء الثلاثة الأُخرى هو الـذي اختص من بينهـا بالدلالة على كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم اذ انّ لفظ القرآن حينما يسمع فان الذهن لا ينصرف الا الى ذلك الكتاب الكريم •

أما الفرقان ، والكتاب ، والذكر فقد أُطلقت هذه الأسماء على ماأنزله الله من كلامه على أنبياء سابقين كما أُطلقت للـدلالة على القرآن المظيم ، على نحو ماتـدل عليه هذه الآيات الكريمة :

ـ قال الله تعالى : (فقـدْ آتينا آل ابراهيمَ الكتاب والحكمة)[٧] •

ـ وقال : (ولقد آتينا موسى الكتاب ، لعلهم يهتدون)[٨] •

ـ وقال : (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقـانَ وضياءً وذكـراً للمتقين)[٩] •

---

(٥) سورة الحجر • الآية : ٩ •
(٦) جامع البيان ، للطبري ١/٤١ـ٤٢ •
(٧) سورة النساء • الآية : ٥٤ •
(٨) سورة المؤمنون • الآية : ٤٩ •
(٩) سورة الأنبياء • الاية : ٤٨ •

ـ وقال في قصة نوح(أعجبتم أن جاءكم ذكرٌ من ربكم على رجلٍ منكم لِيُنْذِركُمْ ، ولِتتقوا ، ولعلكمْ تُرحمون)(١٠) .

وبذلك يكون لفظ (القرآن) اسما علماً ، لايطلق الا على الكتاب الذي أنزله الله على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يسمّى كتابُ موسى بالتوراة ، وكتاب عيسى بالانجيل(١١) .

واشتراك القرآن مع الكتب الالهية المنزلة الأُخرى بتلك الاسماء فيه اشارة الى وحدة المصدر ، فهي كلها كلام الله تعالى ، أنزله على عباده المصْطَفَيْنَ من رسله ، وفيه ـ أيضا ـ اشارة الى وحدة الموضوع،كما فيه اشارة الى وحدة الغاية والهدف،فهي كلها هادية الى طريق النور والخير ، مفرقة بين الحق والباطل ، غير أن القرآن جاء خاتمة تلك الكتب ومهيمنا عليها ، مثلما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم النبيين ، ومثلما كان الاسلام الدين الحق دون غيره،قال الله تعالى:(إنّ الدين عندالله الاسلام)(١٢). وقال : (ومَنْ يَبْتغِ غيرَ الاسلام ديناً فلن يُقبلَ منه ، وهو في الآخرةِ من الخاسرين)(١٣) .

ويذكر بعض العلماء أسماء أُخرى للقرآن غير تلك الأربعة، حتى بلغ بها خمسةً وخمسين اسما أو أكثر(١٤) . لكن هذه الاسماء هي في الحقيقة صفت وصف الله تعالى بها القرآن الكريم . اقرأ هذه الآيات الكريمة .

(١٠) سورة الأعراف ، الاية : ٦٣ .
(١١) البرهان في علوم القرآن . للزركشي ١/٢٧٨ .
(١٢) سورة آل عمران . الآية : ١٩ .
(١٣) سورة آل عمران . الآية : ٨٥ .
(١٤) الزركشي : البرهان ١/٢٧٣ . والسيوطي : الاتقان في علوم القرآن ١/١٤٣ .

(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً)(٤) .

ـ (ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ، وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين)(٥) .

ـ (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)(٦) .

تجد أن الله ـ عز وجل ـ قد وصف القرآن هنا بأنه برهان ، وأنه نور مبين ، وأنه موعظة وشفاء وهدى ورحمة ، وأنه قرآن عربي ، فهذه الكلمات ماهي إلا صفات تبين معاني تخص القرآن ، ففي كل لفظة تحس بمعنى يتصل بالقرآن بأنه . مبارك ، وحكمة ، وحكيم ، وتنزيل ، وبصائر ، وبيان ، وبشرى ، وبشير ، ونذير وعزيز ، وبلاغ ، وكلام الله ، وغير ذلك(٧) .

وأنت اذا ذهبت تستقصي هذه الصفات في القرآن بلغت بها الخمس والخمسين ، أو تزيد ، لكنا نقصد بأسماء القرآن ـ هنا ـ تلك الالفاظ التي صارت أعلاماً تعيّن مسمّاها مطلقاً ، لا ما اتصف به القرآن من صفات .

---

(٤) سورة النساء . الآية : ١٧٤ .
(٥) سورة يونس . الآية : ٥٧ .
(٦) سورة يوسف . الآية : ٢ .
(٧) انظر الآيات التي وردت فيها هذه الصفات في كتاب البرهان للزركشي ١/٢٧٣ .

موارد اشتقاق أسماء القرآن

إنّ معنى قولنا ا ن هذه الكلمة مشتقة من كذا ، هو انها تشترك مع كلمات أُخرى في حروف معينة تشكل بنية تلك الكلمة، مع تضمنها المعنى العام لتلك الكلمات . فلفظ (الكتاب) يشترك مع : كتب ، ويكتب ، وكاتب ، وكتابة ، ومكاتبة ومكتبة ... ، بالحروف الثلاثة (ك ت ب) فالكتاب اذن مشتق من كتب .

أما معنى (الكتاب) فقد جاء في أصل اللغة : كتَب السِّقاء والمَزادة والقِربةَ يكتبه كَتْبا : خرزه بسيرين ، وكل ماضممت بعضه الى بعض على جهة التقارب والاجتماع فقد كتبته ، ومنه قيل: كتبت الكتاب ، لأنه يجمع حرفاً الى حرف . فالكتاب هو خط الكاتب حروف المعجم ، مجموعة ومفترقة[1] .

وأما اسم (الفرقان) فهو من قولهم : فَرَق بين الشيئين يفْرُق فَرْقاً وفُرْقاناً ، أي فصل بينهما ، والنون زائدة فيه ، فيكون وزنه على (فُعْلان)[2] و «يتبين بذلك أن القرآن سمي (فرقاناً) لفصله ـ بحججه وأدلته وحدود فرائضه وسائر معاني حكمه ـ بين المحق والمبطل ، وفرقانه بينهما بنصر المحق ، وتخذيله المبطل ، حكماً وقضاء»[3] .

---

(١) انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة (كتب) . والزجاج : معاني القرآن واعرابه ١٤٤/١ ، والطبري : جامع البيان ٤٤/١ .

(٢) لسان العرب مادة (فرق) . والزجاج : معاني القرآن واعرابه ١٠٤/١ .

(٣) الطبري : جامع البيان ٤٤/١ .

و (الذِكْر) في اللغة الحفظ للشيء ، وَجرى الشيء على اللسان ، والذكر أيضا الشرف والفخر ، وهو من ذكَر يَذْكُر ذِكْراً[٤] ، أما تسمية (القرآن) به ، فقد قال عنه الطبري : (وأما تأويل اسمه الذي هو (ذكر) فانه محتمل معنيين .

أحدهما : أنه ذكر من الله ـ جل ذكره ـ ذكَّر به عباده ، فعرَّفهم فيه حدوده وفرائضه وسائر ما أودعه من حكمه .

والآخر : أنه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به وصدق بما فيه ، كما قال ـ جل ثناؤه ـ «وإنه لذكر لك ولقومك»[٥] يعنى به أنه شرف له ولقومه»[٦] .

أما القرآن فانه من الكلمات المهموزة ، أي إن أحد حروفه الاصول همزة ، والهمزة أحد حروف العربية الثمانية والعشرين، ولكون مخرجها أبعد المخارج في الحلق كثر سقوطها في الكلام[٧] .

وقد اختلفت القبائل العربية في الاحتفاظ بهذا الصوت في النطق ، فبعضهم يخففون الهمزة في كلامهم فيقولون «رأس ، وذئب» . وبعضهم يسهلون الهمزة ، أي يسقطونها في كلامهم ، في غير أول الكلمة[٨] . فيقولون : «راس . وذيب»[٩] .

---

(٤) لسان العرب مادة (ذكر) .
(٥) سورة الزخرف - الآية : ٤٤ .
(٦) جامع البيان للطبري ١/٤٤ .
(٧) سيبويه : الكتاب ٢/١٦٧ . وابن يعيش : شرح المفصل ٩/١٠٧ و ١٠/١٢٤ .
(٨) سيبويه : الكتاب ٢/١٦٣و١٦٧ . وابن الجزري : النشر في القراءات العشر ١/٤٢٨ .
(٩) على نحو يماثل نطقنا لهذه الكلمات في عربيتنا الدارجة في الوقت الحاضر .

وقد جاءت لكلمة (القرآن) صورتان نطقيتان ·

الاولى ـ بتحقيق الهمزة (قُرْءان) ، وعليها عامة قراء القرآن ·

والثانية ـ باسقاط الهمزة (قُران) كما نقل ذلك عن عبدالله بن كثير (ت١٢٠هـ) قارىء أهل مكة ، وأحد القراء السبعة المشهورين[٤] · وكما روي عن الامام محمد بن ادريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) انه كان لايهمز كلمة القرآن[٥] ·

وكلمة القرآن ـ سواء أكانت مهموزة أم غير مهموزة ـ مشتقة من (قرأ) والنون فيها زائدة فيكون وزن الكلمة (فُعْلان)[٦] ·

وتأتي (قرأ) في أصل اللغة بمعنى جَمَع ، ومنه قرأت الماءَ في الحوض ، أي جمعتهُ فيه ، وبمعنى تلا ، ومنه قرأت الكتاب قراءة وقرآناً ، أي تلفظت بما دلت عليه الحروف المكتوبة[٧] ·

والراجح هو أن يكون لفظ (القرآن) مشتقاً من (قَرَأَ) بمعنى تلا ، خاصة أنّ مادة (قَرَأَ) وردت في كتاب الله تعالى كثيرا ، وهي تدل في معظم حالاتها على معنى النطق والتلاوة ، ويكفي أن نتذكر أنّ أول كلمة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن في قوله تعالى (اِقْرأ باسمِ ربك الذي خلق)[٨] · وتأمل

(٤) انظر : البنا الدمياطي : اتحاف فضلاء البشر ص١٥٤ ·
(٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٦٢/٢ · والزركشي : البرهان ٢٧٧/١ ·
(٦) الزركشي : البرهان ٢٧٨/١ ، والسيوطي ١٤٦/١ ·
(٧) لسان العرب مادة (قرأ) ، والزركشي : البرهان ٢٧٧/١ ، والسيوطي : الاتقان ١٤٦/١ ·
(٨) سورة العلق · الآية : ١ ·

قوله تعالى : (لا تحرّكْ به لسانك لتعجلَ به* إنّ علينا جمْعَه وقُرآنَه* فاذا قرأناه فاتبع قرآنه* ثم إنّ علينا بيانه)[٢] . وقد نقل البخاري تفسير ابن عباس للفظة «قرآنه» الواردة في هذه الآيات الكريمة أنها بمعنى ، أن تقرأه ، أو قراءته[٣] . ومجيء «القرآن» مصدراً لـ «قرأ» بمعنى «تلا» ، في هذه الآيات ، يقوي أن يكون اسم «القرآن» مشتقاً من «قرأ» بالمعنى نفسه .

وقد قال الطبري : (والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس : من التلاوة والقراءة ، وان يكون مصدراً من قول القائل قرأت ، كقولك «الخُسران» من «خسرت» ، و «الغُفران» من «غفر الله لك» ...)[٤] .

وعلينا ـ ونحن نتحدث عن أسماء القرآن ونبحث في دلالاتها ـ أن نتأمل في ماتوحيه هذه الأسماء من معان تخص هذا الكتاب العظيم . فانظر مثلا الى تسميته بالقرآن وبالكتاب ، فقد «روعي في تسميته قرآنا كونه متلواً بالألسن ، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدوناً بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه . وفي تسميته بهذين الاسمين الى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد ، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأُخرى ... وبهذه العناية التي بعثها الله في نفوس الأُمة المحمدية اقتداء بنبيّها بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز»[٥] .

(٢) سورة القيامة . الآيات : ١٦ ـ ١٩ .
(٣) صحيح البخاري ٦/١ .
(٤) جامع البيان ، للطبري ٤٢/١ .
(٥) النبأ العظيم ، محمد عبدالله دراز ص١٢ـ١٣ .

الفصل الثاني

الوحـي

وفيـه :

١ ـ معنى الوحي .
٢ ـ بدء نزول القرآن .
٣ ـ تاريخ البعثة .
٤ ـ فترة الوحي .
٥ ـ كيف كان يتلقى النبي القرآن .
٦ ـ حفظ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقرآن .
٧ ـ نزول القرآن منجما والحكمة منه .

إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

وهذا النص القرآني الكريم يقطع بأنه ليس من شأن الإنسان أن يكلمه الله ـ عز وجل ـ مواجهة ، انما يتم تكليم الله البشر بواحدة من ثلاث[1] :

١ ـ (وحيا) ، يُلقى في النفس مباشرة ، بالرؤيا الصادقة أو الالهام . والوحْيُ ـ في أصل اللغة ـ إعلامٌ في خفاء ، لذلك صارت الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي يقال لها وحيا[2] .

والالهام : هو ما يلقَى في الروع ، وهو أن يُلْقِيَ الله في النفس أمراً يبعث على الفعل أو الترك ، وهو نوع من الوحي ، يخصُّ به الله من يشاء من عباده[3] .

٢ ـ (أو من وراء حجاب) ، أي أن يكلم الله النبي بحيث يسمع كلام الله ولا يراه ، كما كلم موسى ، وحين طلب موسى الرؤية لم يُجَب اليها ، كما تبين ذلك الآية الكريمة : (ولما جاء موسى لميقاتنا ، وكلَّمه ربه ، قال : ربِّ أَرِني أنظرْ اليك ، قال : لن تراني ، ولكن انظر الى الجبل ، فان استقرَّ مكانه فسوف تراني ، فلما تجلَّى ربه للجبَلِ جعله دكاً ، وخرَّ موسى صَعِقاً ، فلما أفاق قال : سبحانك تُبتُ اليك ، وأنا أوَّلُ المؤمنين)[4] .

(١) أنظر : الطبري : جامع البيان ٢٥/٤٥ .
(٢) ابن منظور : لسان العرب مادة (وحي) .
(٣) نفس المصدر مادة (لهم) .
(٤) سورة الأعراف . الآية : ١٤٣ .

٣ ـ (أو يرسل رسولاً ، فيوحي باذنه ما يشاء) ، أي أن يرسل الله من ملائكته رسولا ، فيُوحي ذلك الملك الرسولَ الى المرسل اليه باذن ربه ما يشاء الله أن يوحيه اليه من أمر ونهي ، وغير ذلك من أُمور الرسالة والوحي .

وتشير الآيات السابقة الى أنّ ماأوحاه الله الى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو من جنس ما أوحاه الله الى الانبياء السابقين، (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) ، حيث كان جبريل ينزل بالقرآن على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى : (وإِنَّهُ لتنزيلُ ربِّ العالمين* نزل به الروح الأمين* على قلبك لتكون من المُنذِرين* بلسان عربي مبين)[1] .

وقد بَيَّنَ أهل التفسير أن المقصود بالروح الأمين هنا جبريل ، عليه السلام[2] . وكما ورد في الاحاديث الصحيحة في باب (بدء الوحي) من «صحيح البخاري»[3] .

وانما سُمِّيَ ما ينزل به الملك على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَحْياً ، لأن الملك أسرَّه عن الخلق ، وخصَّ به النبي المبعوث اليه[4] .

---

(١) سورة الشعراء . الآيات : ١٩٢ـ١٩٥ .
(٢) الطبري : جامع البيان ١١٢/١٩ .
(٣) انظر : البخاري : الجامع الصحيح ١/٥ـ٦ .
(٤) انظر ابن منظور : لسان العرب : مادة (وحي) .

بَدْء نزول القرآن

انّ نزول جبريل بالقرآن على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أمور الغيب الروحية، غير المنظورة لعامة الناس الذين شهدوا عصر التنزيل ، ولكنّ تفصيلات ذلك الحدث العظيم معروفة من خلال الروايات الصحيحة التي رواها الصحابة من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذ بيَّن لهم بكل وضوح تفاصيل اللقاء الأول بينه وبين جبريل ، عليه السلام ، وكيف كان يلقاه بعد ذلك ، بما شهد آثاره الصحابة جميعا ، ومما نشهد آثاره الى اليوم ، تلك الآثار المتمثلة بالقرآن الكريم .

تروي كتب الحديث والسيرة والتاريخ تفاصيل الرواية الصحيحة عن بدء نزول القرآن على هذا النحو[1] :

قال محمد بن شهاب الزهري : أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة بنت الصديق زوج النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنها قالت :

كان أول ما بُدِئَ به رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الوحي الرؤيا الصادقة[2] في النوم ، فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فَلَقِ الصبح ، ثم حُبِّبَ اليه الخلاء[3] فكان يخلو

---

(١) وردت هذه الرواية في أصح كتب الحديث والتدريخ : في الطبقات الكبرى لابن سعد ١/١٩٤ ، والسيرة النبوية لابن هشام ق١/٢٣٤ ، والمصنف لعبدالرزاق بن همام الصنعاني ٥/٣٢١ . وصحيح البخاري ١/٦٥ و٢١٤ ، والفتح الرباني في ترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٠/٢٠٧ ، وصحيح مسلم ١/٩٧ ، وتاريخ الرسل والملوك ، للطبري ٣/١١٤٦ .

(٢) بعض الروايات (الصالحة) .

(٣) في بعض الروايات (الخَلوة) وهما بمعنى واحد .

بغار حِراء ، فيتحنث فيه[٤] قبل أن يرجع الى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة . فيتزود لمثلها ، حتى فَجِئَهُ الحق، وهو في غار حراء .

فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فَغَطَّني[٥] حتى بلغ مني الجَهْدُ . ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء .

فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت : ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال : (اقرأْ باسمِ ربكَ الذي خَلَقَ * خَلَقَ الانسانَ من عَلَق* اقرأْ وربُّكَ الأكرم* الذي علَّم بالقلمِ* عَلَّمَ الانسانَ مالم يَعْلَم)[٦] .

فرجع بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرجف فؤاده ، حتى دخل على خديجة ، فقال : زَمِّلوني زملوني[٧] . فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوع ، ثم قال لخديجة : أيْ خديجةُ ، ما لي ؟ لقد خشيت على نفسي . فأخبرها الخبر . قالت خديجة : كلا أَبْشِرْ ، فوالله لا يُخْزِينك الله أبداً . والله إنك لَتَصِلُ الرَّحِم ، وتَصْدُقُ الحديث ، وتحمل الكَلَّ ، وتكسِبُ المعدوم ، وتَقْرِي الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

---

(٤) التحنث : التعبد
(٥) الغط معناه : الضم الشديد الضاغط ، فيكون المعنى : ضَمَّني وعصرني .
(٦) سورة العلق . الآيات : ١ـ٥ .
(٧) زملوني : دثروني .

فانطلقت به خديجة' حتى أتت به ورقة بن نوفل ، وهو ابن عم خديجة ، أخي أبيها ، وكان امرءاً تَنَصَّر في الجاهلية . وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والانجيل ، وكان شيخا كبيرا قد عمي ، فقالت له خديجة : يا ابن عمٍّ ، اسمع من ابن أخيك ·

قال ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خبر مارأى · فقال ورقة : هذا الناموس[1] الذي أُنْزِل على موسى ، ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو مُخْرِجيَّ هم ؟ قال ورقة : نعم ، لم يأتِ رجل قط بمثل ماجئت به إلا عُودي ، وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم يلبث ورقة أن تُوفي ، وفتر الوحي فترة ، حتى حزن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ·

لقد عاش محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ــ عليه الصلاة والسلام ــ في مكة ، أربعين سنة من عمره ، مع أهله وعشيرته ، من غير أن يُقلق تلك الحياة الهادئة شيء، حتى نزل عليه القرآن، فبدأت عندها مرحلة جديدة من الكفاح الشاق الطويل ، من أجل الدعوة ونشر الاسلام · وتحدثنا الرواية السابقة أن التحول في حياة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد تم في تُؤدَة وتمهُّل، ذلك أن الملك لم يجابه النبي من غير ممهدات نفسية تهيِّئه لتحمل أثر ذلك اللقاء العجيب بين عالم البشر المادي وعالم الغيب الروحي ، فكانت أُولى علامات النبوة الرؤيا الصادقة ، إذ يتحقق في النهار مايراه في نومه بالليل · ولا شك في أن هذه الحالة قد

(١) الناموس هو صاحب سرٍّ الوحي ، والمراد به جبريل عليه السلام (أنظر : لسان العرب مادة : نمس · وعمدة القارىء ، للعيني ١/٥٢) ·

لفتت نظر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأثارت انتباهه ، ولا سيما أنها استمرت فترة ليست قصيرة[1] .

والخطوة الثانية باتجاه النبوة الكاملة هي الخلوة ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجد ميلا في نفسه الى الانفراد والابتعاد عن ضجيج الحياة وعما كان عليه الناس في مكة من فساد العقيدة وانحراف السلوك ، ووجد أن خير مكان يناسب تلك الغاية هو في الجبال المجاورة لمكة ، وفي جبل حِرَاء[2] بالذات ، حيث يوجد في قمة ذلك الجبل المبارك غار يمكن أن يأوى اليه ، ليقضي فيه الليالي الكثيرة،في رحلة اعداد نفسي عميقة الأثر[3].

كان ذلك الغار هو المكان الذي يقضي فيه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الليالي ذوات العدد ، بعد أن حببت اليه الخلوة ، قبل أن يلقَى جبريل .

وبينما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تلك الخلوة وذلك الانقطاع ، في غار حراء ، نزل عليه ملك الوحي جبريل عليه السلام ، ولم يُلْقِ اليه أول مانزل من القرآن الا بعد أن هيأ نفسه بذلك الضم الشديد الذي كان يجهده ثم ألقى على مسامعه أول سورة العلق ، فكأنما نقشت في قلبه ،

(١) حكى البيهقي أن مدةالرؤيا كانت ستة أشهر(فتح الباري ١/٢٧).

(٢) حراء : بالمد وكسر الحاء ، جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال، في أعلاه قمة شامخة زلوج ، وفيه الغار الذي كان يأوي اليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (انظر:ياقوت:معجم البلدان ٢/٢٣٣). ويسمّى ذلك الجبل اليوم جبل النور : (انظر كتاب : من نفحات الحرم : لعلي الطنطاوي ص١٣٨ ، ومدخل الى القرآن الكريم لمحمد عبدالله دراز ص٢٧) .

(٣) انظر وصفا ممتعا للجبل والغار في كتاب (في منزل الوحي) لمحمد حسين هيكل ص٢٤٢ وما بعدها،وكتاب (من نفحات الحرم) للاستاذ علي الطنطاوى ص١٣٧ وما بعدها .

لكنَّ شدة الموقف وتأثير المفاجأة أفزعته ، فعاد الى بيتـــه وفؤاده يرجف ، ونفسه خائفة ، يخشى عليها مما شاهده وسمعه ، وهو ما يشير الى أنه لم يكن يتوقع مثل هذا الموقف على الرغم مما كان فيه من خلوة ، وما شاهده من رؤى صادقة في الايام السابقة .

تاريخ البعثة

انّ اللقاء الاول بين ملك الوحي جبريل ـ عليه السلام ـ ورسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في غار حراء كان في يوم الاثنين . «وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم» ، كما يقول الطبري[1] . والراجح أنه اليوم السابع عشر من رمضان ، من سنة البعثة . قال ابن سعد في رواية له : «نزل الملك على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحراء يوم الاثنين ، لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ، ورسول الله يومئذ ابن أربعين سنة ، وجبريل الذي كان ينزل عليه بالوحي»[2] .

وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : (شهرُ رمضانَ الذي أُنزل فيه القرآن)[3]،وقال : (إنا أنزلناه في ليلةٍ مباركة)[4] وقال : (إنا أنزلناه في ليلة القدر)[5] . قال أبو شامة : «فليلة

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٣/١١٤٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ١/١٩٤ وانظر ـ تاريخ الرسل والملوك : ٣/١١٤٢ . وعمدة القارىء ١/٦١ .

(٣) سورة البقرة . الآية : ١٨٥ .

(٤) سورة الدخان . الآية : ٣ .

(٥) سورة القدر . الآية : ١ .

القدر هي الليلة المباركة ، وهي في شهر رمضان ، جمعًا بين تلك الآيات ، إذ لا منافاة بينها ، فقد دلّت الأحاديث الصحيحة على أنّ ليلة القدر في شهر رمضان ..»[٦] .

وتجمع المصادر على أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان عمره في سنة البعثة أربعين عاما[٧] .

ويقدر الباحثون أن سنة البعثة ونزول القرآن تقابل سنة ٦١٠ ميلادية .

(٦) المرشد الوجيز ص٩ .

(٧) انظر : صحيح البخاري ٥/٥٦ ؛ وصحيح مسلم ٧/٨٧ ، وطبقات ابن سعد ١/١٩٠ والسيرة النبوية لابن هشام ١/٢٣٣ والفتح الرباني ٢٠/٢٠٩ .

فترة الوحي

انقطع نزول جبريل بالقرآن على رسول الله بعد ذلك اللقاء الأول في غار حراء مدة من الزمن ، فقد جاء في آخر الرواية السابقة عن بدء الوحي : « وفتر الوحي فترة ، حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

وجاء في الرواية التي نقلها البخاري في صحيحه أن الصحابي جابر بن عبدالله الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال : (قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يحدث عن فترة الوحي ، فقال في حديثه : بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصري ، فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرعبت منه ، فرجعت ، فقلت : زملوني زملوني . فدثروه ، فأنزل الله تعالى : «ياأيها المدثر* قم فأنذر*وربك فكبر* وثيابك فطهر* والرجز فاهجر»[1] . فحمى الوحي وتتابع)[2] .

وانقطاع الوحي هذه المدة فيه من تطمين نفس النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واعدادها لتلقي القرآن وحمل الرسالة ، ماكان في الرؤيا الصادقة وفي الخلوة . فقد ذهب في هذه المدة ماوجده

---

(١) سورة المدثر . الآيات : ١ـ٥ .

(٢) صحيح البخاري ١/٦ و ٦/٢١٤ ، وانظر: صحيح مسلم ١/٩٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ٣/١١٥٥ .

رسول الله من الرَّوْع في ذلك اللقاء الذي تلا فيه جبريل أوائل سورة العلق ، وكذلك فقد تشوق ، بعد ذهاب الروع عنه ، الى رؤية الملك مرة أخرى(٤) .

وهكذا انتقل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ـ الى مرتبة النبوة ، وتلقّى وحي السماء ، واطمأنت نفسه الى أنه صار نبيا ينتظر أمر ربه ، وينتظر سماع القرآن من جبريل ، إذ تتابع نزول القرآن عليه ثلاثة وعشرين عاما(٥) .

---

(٤) العيني : عمدة القارىء ١/٦٢ .

(٥) لاتحدد الروايات زمن فتور الوحي وانقطاعه ، ففي رواية البخاري ٦/٢١٤ : «وفتر الوحي فترة» ، وفي طبقات ابن سعد ١/١٩١ : «مكث أياما لايرى جبريل» وفي سيرة ابن هشام ١/٢٤١ : «ثم فتر الوحي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فترة من ذلك» . ونجد في بعض المصادر أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين (انظر فتح الباري ١/٢٧ وعمدة القارىء ١/٦٢) اعتمادا على رواية عن الشعبي تقول : «بعث لاربعين ، ووكل به اسرافيل ثلاث سنين ، ثم وكل به جبريل» . وهذه الرواية لاتتحدث أولا عن فترة الوحي ، وهي ـ ثانيا غير موثقة عند العلماء ، قال ابن سعد (الطبقات الكبرى ١/١٩١) : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر ، فقال : ليس يعرف أهل العلم ببلدنا ان اسرافيل قرن بالنبي صلى الله عليه وسلم وان علماءهم واهل السيرة منهم يقولون : لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه الوحي الى ان قبض ، صلى الله عليه وسلم» (وانظر الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٣/١٢٤٩) .

كيف كان يتلقّى النبي القرآن

إنّ تلقي القرآن من ملك الوحي من أمور الغيب الروحية . لكنه كان ذا جانب حسي ملموس ، شهد أثره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن كان حوله حينذاك . ومن مظاهر تلك الحالة : ماروواه ابن سعد عن عُبادة بن الصامت أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا نزل عليه الوحي كرب له ، وتربّد وجهه[1] . وربما نزل عليه الوحي وهو على راحلته ، فترغو وتفتل يديها حتى يظن أن ذراعها تنقصم ، فربما بركت ، وربما قامت موتدة يديها حتى يُسرّى عنه ، من ثقل الوحي[2] .

وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعاني من شدة الوحي تلك حتى تفيض جبهته عرقا في الغداة الباردة ، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وان جبينه ليتفصد عرقاً»[3] .

وكان الصحابة يعرفون حالة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ساعة يوحَى اليه ، وربما سمعوا صوتا عند وجهه الشريف . فقد روى عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ انه قال «كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الوحي سمع عند وجهه كدوِيّ النحل ..»[4] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٩٧/١ .
(٢) نفس المصدر ، والفتح الرباني ٢١٢/٢٠ .
(٣) صحيح البخاري ٥/١ . والموطأ لمالك بن أنس ص١٤٣ .
(٤) عبدالرزاق الصنعاني ، المصنف ٣٨٣/٣ ، والفتح الرباني ٢١٤/١٨ .

ولم تكن تلك الشدة التي تصاحب نزول القرآن الكريم لتحول دون وعي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما يلقَى اليه من القرآن ، بل إنه ليكون أكثر انتباها ووعيا في تلك اللحظة ، إذ كان يتلو على الصحابة ما ينزل عليه من القرآن فور انقطاع الوحي ، وقد سأله عبدالله بن عمرو بن العاص عن احساسه بالوحي حيث يقول : (سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : يارسول الله هل تحس الوحي ؟ فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : نعم ، أسمع صلاصل ، ثم أسكت عند ذلك ...)[٢] .

ولا يدع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مجالا للشك في شدة يقظته ووعيه في لحظة تلقّي القرآن الكريم من جبريل ، فقد روى البخاري (عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليَ ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ماقال . وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي مايقول)[٣] .

ومن هذه الرواية يتضح جليا أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان واعيا لما يُلقَى اليه من القرآن ، لاحظ قوله : «وقد وعيت عنه ماقال» ، في الحالة التي يأتي فيها الوحي مثل صلصلة الجرس ، وقوله : «فيكلمني فأعي مايقول» في الحالة التي يتمثل فيها الملك رجلا .

---

(٢) الفتح الرباني ٢٠/٢١١ .
(٣) صحيح البخاري ١/٤ـ٥ ، والموطأ لمالك ص١٤٣ .

ولاشك في أن هذه الحالة التي يكون عليها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين ينزل عليه الوحي أبعد ماتكون عن حالة السبات الطبيعي الذي يعتري المرء في وقت حاجته الى النوم ، فانها كانت تعروه قائما أو قاعدا ، وسائراً أو راكباً ، وبكرة وعشيا ، وفي أثناء حديثه مع أصحابه أو أعدائه ، وكانت تعروه فجأة وتزول عنه فجأة ، وتنقضي في لحظات يسيرة ، لا بالتدريج الذي يعرض للانسان ، فكان اذا أنزل عليه الوحي احمرّ وجهه فجأة وأخذته البُرَحَاء حتى يتفصد جبينه عرقاً ، وثقل جسمه حتى يكاد يرض فخذه فخذ الجالس الى جانبه ، وحتى لو كان راكبا لبركت به راحلته ، وكانوا ـ مع ذلك ـ يسمعون عند وجهه أصواتاً مختلطة تشبه دوي النحل ، لا تسمع منه ولا من غيره عند النوم ، ثم لا يلبث أن تُسَرَّى عنه تلك الشدة ، فاذا هو يتلو قرآناً جديداً[1] .

وكما أن حالة تلقي الوحي تخالف حالة النوم ، كذلك هي تباين كليا تلك الأعراض المرضية والنوبات العصبية التي تصفر فيها الوجوه ، وتبرد الأطراف ، وتصطك الاسنان ، وتتكشف العورات ، ويحتجب نور العقل ، ويخيم ظلام الجهل ، لانها حالة كانت مبعث نمو في قوة البدن ، واشراق في اللون ، وكانت الى جانب ذلك مبعث نور لاظلمة ، ومصدر علم لا جهالة ، بل كان يجيء معها من العلم والنور ، ما تخضع العقول لحكمته وتتضاءل الأنوار عند طلعته[2] .

---

(١) انظر : محمد عبدالله دراز : النبأ العظيم ص٧٠ـ٧١ .
(٢) نفس المصدر ص٧٢ .

حفظ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقرآن

ان من بين الآيات الكثيرة الدالة على ربانية القرآن أن الله ـ عز وجل ـ قد مكن رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حفظ القرآن ، من غير استعانة بكتاب ، وهو الامي الذي لم يقرأ ولم يكتب قط[1] . فكان رسول الله يتعجل ـ بادىء الأمر ـ في حفظ القرآن ، فيسابق جبريل وهو يُلْقِي اليه القرآن ، فيردد الآيات قبل أن ينتهي الوحي ، مخافة أن ينسَى منه شيئاً ، وكان ذلك مما يشق عليه ، فجاء القرآن يطمئنه في أول الطريق ، وينهاه عن تلك العجلة ، قال الله تعالى : (وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً ، وصرّفنا فيه من الوعيدِ لعلهم يتقون أو يُحْدِثُ لهم ذكراً* فتعالى الله الملك الحقّ ولا تعجل بالقرآنِ من قبلِ أنْ يُقْضَى اِليكَ وَحْيُهُ وقلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً)[2] .

وجاءت آيات أُخرى تؤكد أنّ حفظ القرآن مكفول للنبي صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : (لا تحرّكْ به لسانَكَ لتعجل به* اِنّ علينا جَمْعَهُ وقرآنَه* فاذا قرأناه فاتبعْ قرآنَه* ثم اِنّ علينا بَيانه)[3] .

---

(١) ان صفة الأمية بالنسبة للنبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليست من النقائص ، بل هي من المعجزات ، فقد شاء الله أن يجعل نَبيه أُميا، ليكون ذلك أبلغ في الدلالة على أن القرآن من الله تعالى ، وليقطع كل شك أو تقوّل يلهج به المعاندون ، اذا زعموا أن النبي قرأ علوم الأقدمين ، واطلع على كتب الانبياء السابقين ، وجاء بهذا القرآن من عند نفسه . وقد بين الله تعالى ذلك في القرآن بقوله الكريم : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك ، اذن لارتاب المبطلون) (العنكبوت ٤٨) .

(٢) سورة طه . الآيتان : ١١٣ـ١١٤ .

(٣) سورة القيامة . الآيات : ١٦ـ١٩ .

وروى البخاري في صحيحه تفسيراً لهذه الآيات منقولا عن ابن عباس جاء فيه : (إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه ، فأنزل الله تعالى «لا تحرك به لسانك لتعجلَ به* انَّ علينا جمعَه وقرآنه» ، جمعه : أن نجمعه في صدرك ، وقرآنه : أن تقرأه . «فاذا قرأناه فاتبع قرآنه» قال : فاستمع له وأنصت . «ثم انَّ علينا بيانه» : ثم إن علينا أن نبينه على لسانك وأن تقرأه ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ذلك اذا أتاه جبريل استمعَ ، فاذا انطلق جبريل قرأه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما قرأه جبريل)[1] .

فهذه الآيات تؤكد أمراً مهماً ، هو تكفّل الله المطلق بشأن هذا القرآن ، وحياً وحفظاً وجمعاً وبياناً . واسناده اليه ـ سبحانه ـ بكليته ، ليس للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أمره الاوعيه وحملُه وتبليغُه .

والى جانب هذا الاستعداد الدائم الذي خُصَّ به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحفظ القرآن فان جبريل عليه السلام كان يدارس رسول الله مانزل عليه من القرآن في كل عام مرة ، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن ابن عباس حيث يقول : «كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود الناس ، وكان أجود مايكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فرسول الله ـ صلى الله عليه ووسلم ـ أجود بالخير من الريح المرسلة»[2] .

---

(١) صحيح البخاري ٦/١ ، وفتح الباري ٦٨٠/٨ ، والطبقات الكبرى ١٩٨/١ ، والمرشد الوجيز ص٢٩ .

(٢) صحيح البخاري ٦/١ .

وكانت ثمرة ذلك التمكين لحفظ القرآن وهذه المدارسة له بين رسول الله وجبريل أن حفظ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن حفظاً لاحظّ للنسيان فيه ، فقرأه على الصحابة ، فكان بعضهم يكتبه ، وكان آخرون يحفظونه ، وأدوه الى من جاء بعدهم من أجيال المسلمين ، وظل القرآن محفوظاً كما تلقاه الصحابة من رسول الله حتى يومنا هذا .

نزول القرآن منجما والحكمة من ذلك

كانت أوائل سورة العلق ، وهي قولـه تعالى : «اقـرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الانسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذي علم بالقلم* علم الانسان مالم يعلم) هي أولَ مانزل من القرآن على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[1] واستمر نزول القرآن على رسول الله ثلاثا وعشرين سنة ، ينزل عليه في المرة الواحدة السورة ، أو الآيات ، أو الآية[2] .

ونزول القرآن مفرقا على ذلك النحو يسـميه العلماء تنجيم القرآن ، ويسمون الشيء النازل منه في المرة الواحدة نَجْماً ، لان من معاني النجـم في اللغة «الوقـت المضروب» ، وقـد قالت العرب : «نَجَّمْتُ اليه المال اذا أديته نجوماً» ، أي المرة بعد الأخرى[3] . قال أبو شامة : «فلما قطَّع الله ـ سبحانه ـ القرآن، وأنزله مفرقاً ، قيل لتفاريقه نجوم»[4] .

وأثار المشركون مسألة نزول القـرآن الكريـم منجماً في سلسلة معارضتهم الباطلة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتمنوا نزول القرآن جملة واحدة ، كما أنزلت التـوراة والانجيل من قبل ، وقد بيّن الله تعالى حكمة ذلك التنزيل في قوله الكريـم : (وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرآنُ جُملةً واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلا* ولايأتونك بمَثَلٍ الا جئناك بالحقِّ وأحسنَ تفسيراً)[5] .

---

(١) الطبري:جامع البيان ٣٠/٢٢٢ والكرماني:شرح البخاري ١/٤٢ .
(٢) أحمد بن حنبل : المسند ١/٣٩٩ و ٤٩٨ ..
(٣) ابن منظور : لسان العرب مادة (نجم) .
(٤) المرشد الوجيز ص١٨ .
(٥) سورة الفرقان . الآيتان : ٣٢ـ٣٣ .

وقد تحدث أبو شامة في كتابه (المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز) عن حكمة نزول القرآن مفرقا ، فقال :

(فان قلت : ما السر في نزوله الى الأرض منجّما ؟ وهلاّ أُنزل جملةً كسائر الكتب ؟

قلت : هذا سؤال قد تولّى الله سبحانه الجواب عنه ، فقال في كتابه العزيز «وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة» يعنون : كما أُنزل على من كان قبله من الرسل ، فأجابهم الله تعالى بقوله «كذلك» أي أنزلناه كذلك مفرقاً ، «لنثبت به فؤادك» أي لنقوي به قلبك ، فان الوحي اذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشدّ عناية بالمرسل اليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك عليه وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز ، فيحدث له من السرور ماتقصر عنه العبارة . ولهذا كان أجود مايكون في رمضان لكثرة نزول جبريل ـ عليه السلام ـ عليه .

وقيل . معنى «لنثبت به فؤادك» أي لتحفظه فيكون فؤادك ثابتا به غير مضطرب ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أُميا لايكتب ولا يقرأ ، ففرق عليه القرآن ليتيسر عليه حفظه ، ولو نزل جملة لتعذر عليه حفظه في وقت واحد على ما أجرى الله تعالى به عوائد خلقه ...

وأيضا في القرآن ماهو جواب عن أُمور سألوه عنها ، فهو سبب من أسباب تفريق النزول ، ولأن بعضه منسوخ ، وبعضه ناسخ ولا يتأتّى ذلك الا فيما أُنزل مفرقاً)[1] .

وما نقله أبو شامة من تيسير الحفظ ، وان كان محتملا بالنسبة للصحابة ، فانه غير محتمل بالنسبة للنبي ـ صلى الله عليه

(١) المرشد الوجيز ص٢٧ـ٢٩ .

وسلم ـ فقد تكفل الله له بحفظه ، ولـم يعجز عن حفظ السـور الطويلة حينما كانت تنزل عليه ، فما كان عليه الا أن ينصت حين يتلو الملك عليه القرآن ، فيحفظ ما يلقيه عليه الملك ٠

ويترجح ما ذكره أبو شامة أولا من تقويـة قلب النبي بمـا يتجدد نزوله عليه من القرآن،وما فيه من قصص الأنبياء وصبرهم على أذى أقوامهم ، وما كان من عاقبة أمر المعرضين ، وغير ذلك من الأمور التي تؤكد اليقين ، وتذهب اليأس والقنوط ٠

والى جانب ذلك فان القرآن الكريم جاء ليربي أمة ، وينشىء مجتمعا ، ويقيم نظاما ٠ والتربيـة تحتاج الى زمن ، والى تأثـر وانفعال بالكلمة ، والى حركة تترجم التأثر والانفعال الى واقع ٠ والنفس البشرية لاتتحول تحولا كاملا شاملا بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل شامل للمنهج الجديد ، انما تتأثر يوما بعد يوم بطرف من هذا المنهج ، وتتدرج في مراقيه رويدا رويـدا ، وتعتاد على حمل تكاليفه شيئا فشيئا ٠

فالقرآن جاء ليكون منهج تربية ، ومنهاج حياة ، لا ليكون كتاب ثقافة يقرأ لمجرد المتعة أو المعرفة ٠٠

من أجل ذلك كله نـزل القرآن مفصـلا ، يبين أول ما يبين قضية العقيدة الأساسـية ، وهي افـراد الله تعـالى بالألوهيـة والعبودية ، إذ ظل القرآن ينزل في مكة ثلاثة عشر عاما ، يتحدث عن هذه القضية وان تعددت صور عرضها ، ولم تنزل تفصيلات النظام الاسلامي ، ولم ينزل الحلال والحرام الا بعد ما استقرت العقيـدة في النفوس ، وتلقت تشـريعات الاسـلام بالرضـى والقبول ، لاتعترض على شيء منه ، ولا تتلكأ في تنفيذه ٠ والى هذا تشير الآية الكريمة : (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ، ونزلناه تنزيلا)[٢] ٠

(٢) سورة الاسراء ٠ الآية : ١٠٦ ٠

الفصل الثالث

كتابة القرآن وجمعه

وفيــه :

١ ــ كتابة القرآن في حياة النبي .

٢ ــ جمع القرآن في خلافة الصديق .

٣ ــ نسخ المصاحف في خلافة عثمان .

٤ ــ ترتيب الآيات والسور في المصحف .

٥ ــ المصحف في الوقت الحاضر .

كتابة القرآن في حياة النبي

صلى الله عليه وسلم

إنّ الكتابة أهم وسيلة لحفظ الافكار ونقلها جيلا بعد جيل، لكن الكتابة كانت قليلة في بلاد العرب ، حين ظهر الاسلام ، فكان الكتّاب في المدن آنذاك أفراداً معدودين ، يقول البلاذري وهو يتحدث عن الكتابة في مكة : (دخل الاسلام وفي قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب) . ويقول عن الكتابة في يثرب «المدينة»: (ان الاسلام جاء وفيهم عِدّة" يكتبون) وذكر منهم أحد عشر كاتبا[1] .

أما وسائل الكتابة فقد كانت بسيطة فالأقلام أعواد القصب، والصحائف أكتاف الابل ، وعُسُب النخيل ، والحجارة الرقيقة ، ونادراً مايستخدم الرّق ، أو البردي في الكتابة . أما الورق فليس له ذكر في بلاد العرب في تلك الأزمان[2] .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أُميا لايعرف القراءة ولا الكتابة وبعد نزول القرآن عليه ، اهتم بموضوع كتابة القرآن . ولم تمنع وسائل الكتابة الصعبة من تحقيق تلك الغاية، لكن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يتجه الى تعلم الكتابة ، وانما استعان بجماعة من أصحابه ممن يتقن الكتابة ، لتدوين ما ينزل عليه من القرآن ، وما يحتاج اليه من مكاتبات ، فاتخذ عدداً من الكتاب اختص جماعة منهم بكتابة القرآن ، كانوا يعرفون

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص٤٧٧ و٤٧٩ .
(٢) ابن عبدربه : العقد الفريد ٤/١٦٠ .

بكتاب الوحي ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن عِدَّة من كتبوا للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثة وأربعون رجلا[٣] ، وكان أشهر من كتب له الوحي عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وأُبَيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، رضي الله عنهم[٤] .

وكان زيد بن ثابت ألزم الصحابة بكتابة الوحي في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٥] ولا سيما أنه كان جار رسول الله في المدينة . فقد رَوَى ابن أبي داود عن خارجة بن زيد أنه قال : «دخل نفر على زيد بن ثابت فقالوا : حدثنا بعض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال : ماذا أُحدثكم ! كنت جار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان اذا نزل الوحي أرسل إليَّ فكتبت الوحي ...»[٦] . وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيراً مايقول:«ادعُ لي زيداً وليجيء باللوح والدواة»[٧] فيكتب له الوحي .

ولا ريب في أن كتابة القرآن في المدينة كانت أيسر منها في مكة ، فالمسلمون في مكة ـ قبل الهجرة ـ كانوا قلة ، وكانوا

---

(٣) نصر الهوريني : المطالع النصرية ص١٣ .

(٤) تجد أسماء كتاب النبي في : الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص١٢، وابن عبدالبر : الاستيعاب ١/٦٨ ، وابن عبدربه : العقد الفريد ٤/١٦١ ، وابن قيم الجوزية : زاد المعاد ١/٢٩ ، وابن حجر : فتح الباري ٩/٢٢ .

(٥) المصاحف ، لابن أبي داوود : ص٣ . وانظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢/٣٠٧ .

(٦) صحيح البخاري ٦/٢٢٧ . والذهبي : سير أعلام النبلاء ٢/٣٠٨ .

(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/٢٦٧ . وابن هشام : السيرة النبوية ١/٣٤٤ .

يعانون من عنت المشركين وأذاهم ، ومع ذلك فقد جاءت الروايات التاريخية تؤكد أن القرآن كان يكتب في مكة قبل هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المدينة • فورد في قصة اسلام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن أوائل سورة (طه) كانت مكتوبة في رقعة ، وكانت في بيت فاطمة بنت الخطاب ، أخت عمر[٨] • ولم تكن هذه الصحيفة التي سجلت سورة طه الا واحدة من صحف كثيرة كانت متداولة بين المسلمين في مكة ، يقرأون فيها القرآن •

وكتابة القرآن في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تكن مسألة متروكة للصدفة ، بل كانت مقصودة لذاتها وخاضعة للتوجيه النبوي الحكيم ، فلولا حرص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على كتابة القرآن لما كان هناك ذلك الاهتمام الكبير بكتابته، خاصة أن وسائل الكتابة كانت صعبة ، لاتساعد على كتابة النصوص الطويلة بسهولة ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا نزل عليه الشيء من القرآن دعا بعض من كان يكتب له ، فيقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يعينها لهم[٩] •

وكانت كتابة القرآن تخضع للمراجعة والتدقيق ، حتى لا يتطرق احتمال الخطأ أو النقصان الى كتاب الله تعالى ، فقد روي عن زيد بن ثابت أنه قال : «كنت أكتب الوحي عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يُمْلي عليَّ ، فاذا فرغت قال : اقرأه ، فأقرأه ، فان كان فيه سقط أقامه»[١٠] • وربما اجتمع

(٨) أحمد بن حنبل : المسند ١/٣٩٩ و٤٩٨،وأبو شامة : المرشد الوجيز ص٣٣ • والزركشي : البرهان ١/٢٣٤ •
(٩) كتاب المصاحف ص٣ ، وانظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢/٣٠٧ •
(١٠) الصولي : أدب الكتاب ص١٦٥ •

بعض الصحابة حول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدققون بعض مانزل من القرآن ، كما روي عن زيد بن ثابت أيضا قوله: «كنا حول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نؤلف القرآن من الرقاع ...»[11] .

ويبلغ حرص النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الدقة في كتابة القرآن أنه نهى في أول عهد الاسلام عن كتابة شيء عنه غير القرآن ، حيث يقول : «لاتكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ، فمن كتب عني غير القرآن فَلْيَمْحُهُ»[12] .

ويبدو أن الصحف التي كتب عليها القرآن قد كثرت في أيدي الصحابة ، حتى إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى أن يسافر بالقرآن ، خشية أن يناله العدو[13] .

وقد ظل القرآن يكتب في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على القطع المتفرقة ، من غير أن يجمع ويكتب على الصورة التي نجدها للمصحف اليوم . روى الطبري في تفسيره أن محمد بن شهاب الزهري قال : «قبض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكن القرآن جمع ، وانما كان في الكرانيف والعُسب»[1] .

---

(١١) الحاكم ، المستدرك ٢/٢٢٩ ، وأبو شامة : المرشد الوجيز ص٤٤ . ومعنى تأليف القرآن ـ هنا ـ هو مراجعته وترتيب القطع التي كان يكتب عليها وتدقيقها ، و (الرقاع) . جمع رقعة ، وهي تطلق على ما كان يكتب عليه القرآن آنذاك .

(١٢) الخطيب البغدادي : تقييد العلم ص٢٩ .

(١٣) أبو عبيد : فضائل القرآن الورقة ١٠ .

(١) جامع البيان ١/٢٨ ، والكرانيف والعسب : هي أصول سعف النخيل .

وانما لم يجمع القرآن في مصحف منظم ، في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن القرآن كان ينزل مفرقاً ، كما عرفنا ، ولأن السورة ربما نزل بعضها ، ثم تأخر نزول تتمتها ، فكان القرآن يكتب على القطع ، حتى إذا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهم الله الخلفاءَ الراشدين جمعه على نسق ما كان يقرأ في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القطع التي كتبت بين يديه(٢) .

(٢) السيوطي : الاتقان ١/١٦٤ .

جمع القرآن في خلافة الصديق

صار أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ خليفة على المسلمين، بعد أن تُوفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة[٣] ، وكان أول ماواجهه ـ في خلافته ـ ارتداد قبائل من العرب ، ومنعهم بعض حقوق الاسلام ، وانضم بعض المرتدين الى مدّعي النبوات الكاذبة • وقد كان موقف الصديق حازما في مواجهة هؤلاء الخارجين عن دين الاسلام ، وكان يقول : «لو منعوني عقالا مما أعطوا رسول الله لقاتلتهم»[٤] •

وكان في طليعة الجيوش التي جهزها أبو بكر الصديق صحابة' رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بينهم جماعة من حفاظ القرآن • ولم تمضِ مدة يسيرة حتى عادت الجزيرة العربية كلها الى دين الاسلام •

وكانت معركة اليمامة التي أذل الله فيها مسيلمة الكذاب وجمعه من أعظم المعارك في حروب الردة ، حيث قتل عدد من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، كان من بينهم قريب من خمسين من حملة القرآن •

وكانت هذه الاحداث والعدد الكبير الذي قتل فيها من الصحابة من حملة القرآن خاصة ، من أهم العوامل التي نبهت عمر بن الخطاب وبعض الصحابة على ضرورة جمع القرآن في صحائف موحدة ، بدل تلك القطع المتفرقة ، خشية أن يقتل عدد آخر من

---

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ١/٦٨ •
(٤) نفس المصدر ١/٧٩ •

حفاظ القرآن من الصحابة ، أو أن تذهب بعض تلك القطع التي كتب عليها ، فيتعرض القرآن الكريم الى ضياع بعضه ، أو نسيانه ، وكانت حرب اليمامة ونتائجها السبب المباشر الذي وضع تلك الفكرة موضع التنفيذ .

وقد نقلت كتب الحديث والتاريخ تفاصيل عملية جمع القرآن في الصحف من القطع التي كتبت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى البخاري ، وغيره عن الزهري ، عن عُبَيد بن السبَّاق أن زيد بن ثابت قال : (أرسل إليّ أبو بكر الصديق ـ مقتل أهل اليمامة ـ فاذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ إنّ عمر أتاني ، فقال : ان القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن،واني أخشى أن يستمر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، واني أرى أن تأمر بجمع القرآن ،قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ قال عمر : هذا ـ والله ـ خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر .

قال زيد : قال أبو بكر : انك رجل ، شاب ، عاقل ، لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتتبع القرآن فاجمعه .

فوالله لوكانوا كلفوني نقل جبل من الجبال ماكان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن .

قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو ـ والله ـ خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما .

فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللخاف وصدور الرجال[1] ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما)[2] .

ويتضح في هذه الرواية السبب الذي دفع الصحابة الى قيامهم بجمع القرآن ، والذي أشرنا اليه من قبل ، وهو الخوف من ضياع بعض القرآن ، بذهاب حفظته من الصحابة ، حيث قال عمر بن الخطاب : «واني أخشى أن يستمر القتل بقراء القرآن في المواطن كلها ، فيذهب قرآن كثير» .

ويفهم من هذه الرواية أيضا أن القرآن لم يجمع في صحف منظمة قبل هذا الجمع ، «كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم» . لكن هذا لاينفي أن القرآن كان مكتوباً كله على القطع المتفرقة ، كما تشير الى ذلك الروايات الكثيرة ، على نحو مانجد في قول الزهري السابق : «قبض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكن القرآن جُمع ، وانما كان في الكرانيف والعسب» . فالذي تَم في خلافة الصديق هو جمع تلك القطع ونسخها في صحف منظمة ، بعد أن دعت الضرورة الى ذلك .

---

(١) قال السيوطي في الاتقان ١٦٨/١ : وفي رواية (والرقاع) وفي أُخرى (وقطع الاديم) . وفي أُخرى (والاكتاف) وفي أُخرى (والاضلاع) وفي أُخرى (والاقتاب) . فالعسب : جمع عسيب ، وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض . واللخاف : جمع لخفة . وهي الحجارة الرقاق . وقال الخطابي : صفائح الحجارة . والرقاع جمع رقمة . وقد تكون من جلد أو رقٍّ أو كاغد . والاكتاف : جمع كتف ، وهو العظم الذي يكون للبعير أو الشاة ، كانوا اذا جفّ كتبوا عليه . والاقتاب : جمع قتب ، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه .

(٢) صحيح البخاري ٢٢٥/٦ ، وانظر : أبو عبيد : فضائل القرآن الورقة : ٣٥ و. وابن أبي داود : كتاب المصاحف ص٦ـ٨ ، والفتح الرباني ٣١/١٨ ، وابن النديم : الفهرست ص٢٤ ، والزركشي : البرهان ٢٣٣/١ ، والسيوطي : الاتقان ١٦٥/١ .

وتذكر الرواية السابقة عن جمع القرآن الصفات التي تميز بها زيد بن ثابت ليقع عليه الاختيار للقيام بهذه المهمة الصعبة ، التي قال عنها زيد نفسه «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ماكان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن» . ومنبع تلك الصعوبة هو أن الأمر يتعلق بكتاب الله تعالى ، فلا مجال لاقل خطأ في كتابته ، ثم ان وسائل الكتابة الصعبة ـ آنذاك ـ لاتساعد على كتابة نص طويل مثل القرآن بسهولة ويسر ، لكن زيد بن ثابت كان أجدر الصحابة بالقيام بهذا العمل ، لانه كما يقول الصديق «انك رجل شاب ، عاقل لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله» . فذكر له أربع خصال[1] : كونه شاباً فيكون أنشط لما يطلب منه ، وكونه عاقلاً فيكون أوعى له ، وكونه لايتهم فتركن النفس اليه ، وكونه يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له . والى جانب ذلك كان زيد بن ثابت أحد الصحابة الذين حفظوا القرآن كله في حياة النبي ، صلى الله عليه وسلم[2] .

وقد كان هناك تعاون جاد بين الصحابة لمساعدة زيد على جمع القرآن ، فقد روي أن أبا بكر طلب من عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت أن يقعدا على باب المسجد وينادیا : من كان تلقّى من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئاً من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والالواح والعسب . وكانا لا يقبلان من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان[3] وقيل ان المراد من الشهيدين أن يشهدا على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله

---

(١) ابن حجر : فتح الباري ١٣/٩ .
(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٥٥/٢ ، والبخاري ، الجامع الصحيح ٢٢٩/٦ .
(٣) ابن ابي داود: كتاب المصاحف ص٦ ،والسيوطي : الاتقان ١٦٦/١ .

ـ صلى الله عليه وسلم[٤] . وقال أبو شامة[٥] : «انما كان قصدهم أن ينقلوا من عين المكتوب بين يدي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكتبوا من حفظهم لان قراءتهم كانت مختلفة لما أُبيح لهم من قراءة القرآن على سبعة أحرف ...» .

وبذلك يمكن القول : إن زيد بن ثابت اتبع في جمع القرآن طريقة التحقيق العلمي التي تنأى عن الخطأ ، وقد اتبع هذه الطريقة بدقة ، دونها كل دقة ، فقد طلب أبو بكر الى كل من عنده من القرآن شيء مكتوب أن يجيء به الى زيد ، واجتمع لزيد من الرقاع والعظام وجريد النخيل ورقيق الحجارة ، وكل ماكتب أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن عليه ، الشيء الكثير . عند ذلك جعل يرتبه ويوازنه ويستشهد عليه ، ولا يثبت آية إلا اذا اطمأن الى اثباتها كما أُوحيت الى رسول الله[٦] .

وقد أستغرقت عملية جمع القرآن ما يقرب من سنة ، فقد تم ذلك بعد غزوة اليمامة ـ التي وقعت في الاشهر الاخيرة من السنة الحادية عشرة ـ وقبل وفاة الصديق رضي الله عنه ـ التي كانت في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة[٧] ، ولاشك في أن جمع القرآن تم قبل وفاة الصديق ، إذ إن الرواية تشير الى أن الصحف التي جمع فيها أُودعت عنده بقية حياته ، ثم انتقلت الى الخليفة الجديد من بعده ، عمر بن الخطاب ، ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر ، بعد وفاة عمر ، لكونه رهن تصرف الخليفة الثالث .

وكان المسلمون قد اتجهوا ، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كتابة القرآن في الصحف ، ولم يعتمدوا على الحفظ الشفهي للقرآن فحسب ، لكن معظم تلك التدوينات لم تكن منظمة أو موحدة ، وانما كانت تعتمد على الجهد الفردي ، ولم يتوافر لشيء من تلك الصحف التي كان يحتفظ بها بعض الصحابة وغيرهم من المسلمين ماكان قدتوافر للصحف التي جمع فيها القرآن زيد بن ثابت في خلافة الصديق ، لذلك سوف نجد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ يأمر في خلافته بنقل عدة نسخ من هذه الصحف ويرسلها الى الامصار الاسلامية ، ويأمر بما سواها من القرآن ، مما هو مكتوب في الصحف بأيدي الناس ، أن يحرق ، ويوجههم الى هذه المصاحف التي أرسلها من المدينة ، والتي نقلت من الصحف التي جمع فيها القرآن في خلافة الصديق ، لينقلوا منها مصاحفهم الخاصة ، التي يقرأون فيها ، على نحو ما سيتبين بعد قليل .

وبذلك كان جمع القرآن من جلائل الاعمال التي ازدان بها عهد الصديق ، ان لم يكن أجلّها[1] . وكان علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قد قال : «رحم الله أبا بكر ، كان أول من جمع القرآن بين اللوحين» . وقال أيضا : «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر ، فانه أول من جمع القرآن بين اللوحين»[2] ونقل الطبري عن الشعبي عن صعصعة أن أبا بكر أول من ورّث الكلالة وجمع المصحف[3] .

نَسْخ المصاحف في خلافة عثمان

امتدت بلاد الاسلام خارج الجزيرة العربية ، ودخل في الدين أقوام من مختلف الأجناس ، فأقبلوا على تعلم القرآن والعربية والتفقه بأحكام الدين ، فكان الصحابة الذين نزلوا في الأمصار الاسلامية يعلمون من حولهم من المسلمين أمور الدين ويقرئونهم القرآن على نحو ماكانوا يقرأون في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث كان رسول الله قد رخص للصحابة بقراءة القرآن بالنطق الذي يستطيعون تحقيقه ، بقوله : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ما تيسر منه» ، نظراً لاختلاف لهجات القبائل العربية في الجزيرة ، ولم يحملهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على تعلم نطق معين ، على ما سنعرف في موضوع القراءات ، إن شاء الله .

وبتقدم السنين وازدياد عدد المسلمين ظهر بعض الاختلاف في قراءة القرآن ، سواء في الأمصار خارج الجزيرة العربية ، أم في بلاد الحجاز ، وكان ذلك الاختلاف يؤدي الى جدل ونقاش حول الوجه الصحيح لقراءة بعض الكلمات ، فمما يروى في هذا أنه «لما كان في خلافة عثمان ، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك الى المعلمين ، فبلغ ذلك عثمان ، فقام خطيبا ، فقال : أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون ، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافا فيه وأشد لحنا ، اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس إماماً يجمعهم»[1] .

---

(١) ابن أبي داوود : كتاب المصاحف ص٢١ ، والطبري : جامع البيان ٢٧/١ ، والداني : المقنع ص٧ .

وقال أبو شامة في هذا الصدد : «ثم ان أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كانوا يقرأون بالقراءة التي أقرأهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولقنهم باذن الله عز وجل ، الى أن وقع الاختلاف بين القراء في زمن عثمان وعظم الأمر فيه ، وكتب الناس بذلك من الأمصار الى عثمان ، وناشدوه الله تعالى في جمع الكلمة وتدارك الناس قبل تفاقم الأمر ، وقدم حذيفة بن اليمان من غزوة أرمينية ، فشافهه بذلك فجمع عثمان ، عند ذلك ، المهاجرين والأنصار ، وشاورهم في جمع القرآن على قراءة واحدة ليزول بذلك الخلاف وتتفق الكلمة ، فاستصوبوا رأيه ، وحضوه عليه ، ورأوا أنه من أحوط الأمور للقرآن ، فاستحضر الصحف من عند حفصة، ونسخها في المصاحف،وبعث بها الى الامصار» .

وبذلك تضافرت الاسباب والدوافع التي جعلت عثمان – رضي الله عنه – يفكر في جمع الناس على مصحف موحد في رسمه وهجائه ، يجمع المسلمين على قراءة واحدة ، وهي القراءة العامة التي كان يقرأ بها عامة الصحابة في المدينة ، التي كتب زيد بن ثابت القرآن بها زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – وجمعه في خلافة الصديق ، وقد روى عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي (ت ٧٢هـ) انه قال : كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة ، كانوا يقرأون قراءة العامة ، وهي القراءة التي قرأها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه ، وكان علي رضي الله عنه – طول أيامه يقرأ مصحف عثمان ويتخذه اماماً[1] .

(١) أبو شامة : المرشد الوجيز ص٦٨·والزركشي : البرهان ١/٢٣٧ .

وكان أول ما بدأ به الخليفة عثمان بن عفان لتحقيق ذلك العمل الجامع أن خطب الناس في المدينة،وفيهم كثير من الصحابة، يستشيرهم ويدعوهم الى القيام بهذه المهمة ، والرواية المشهورة التي تحكي خطوات ذلك العمل الكبير هي التي رواها أبو عبيد في كتابه (فضائل القرآن) ، والبخاري في (الجامع الصحيح) ، وابن أبي داوود في(كتاب المصاحف)، وابن النديم في(الفهرست)، والداني في (المقنع) ، وغيرهم[٢] .

× × ×

ونص الرواية كما رواها البخاري هو : «حدثنا موسى ، حدثنا ابراهيم ، حدثنا ابن شهاب ، أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ، ثم نردها اليك . فأرسلت بها حفصة الى عثمان .

فأمر زيدَ بن ثابت ، وعبدَ الله بن الزبير ، وسعيدَ بن العاص ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا .

حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة ، فأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق» .

وتبين هذه الرواية السبب الذي أشرنا اليه قبل قليل لنسخ المصاحف . وهو الاختلاف الذي حصل في قراءة القرآن الكريم ، والذي امتد من حلقات التعليم الى ميدان الحرب ، ونتيجة لخطورة هذه الظاهرة التي أدرك الخليفة أبعادها من قول حذيفة بن اليمان «يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى» أمر الخليفة الصحابة الأربعة بنسخ عدة نسخ من الصحف التي جمع فيها زيد بن ثابت القرآن في خلافة أبي بكر الصديق ، وأرسل هذه النسخ الى الامصار الاسلامية ، ثم أمر باحراق ما سواها من صحف أو مصاحف حتى يؤتي هذا العمل ثمرته في توحيد المسلمين وجمعهم على مصحف موحد في رسم الكلمات مما يؤدي الى توحيد القراءة .

أما المصدر الذي نقلت منه الجماعة تلك المصاحف فهو الصحف نفسها التي جمع فيها زيد بن ثابت القرآن في خلافة الصديق ، وقد عرفت من قبل أن هذه الصحف قد نقلت من القطع التي كتب عليها القرآن في حياة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذ كان كلما نزل عليه الوحي دعا بعض من يكتب له مانزل عليه من القرآن . فالمصاحف التي نسخت في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ تمثل القرآن الذي كتب بإملاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سوى أن ماكتب أمام النبي كان مفرقا في القطع المختلفة ، وجمعت تلك القطع في خلافة الصديق في صحف منظمة تتابع فيها الآيات في السور على النحو الذي سمعه الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فغاية العمل الذي تم في خلافة الصديق هو جمع القرآن في مكان واحد يُؤْمَنُ فيه عليه من الضياع أو النسيان ، وغاية العمل الذي تم في خلافة عثمان هو جمع الناس على قراءة واحدة، بعد حصول الاختلاف في القراءة في بعض الجهات ، بتوزيع المصاحف التي نسخت في المدينة المنورة ، الموحدة في طريقة رسم الكلمات • والحقيقة ان العمل الذي تم في خلافة عثمان ليس جمعا للقرآن ، فالقرآن جمع في خلافة الصديق وانما كان ما تم في خلافة عثمان أشبه مايكون باخراج طبعة موحدة متعددة النسخ للقرآن الكريم •

ولابد من الوقوف عند قول عثمان ـ رضي الله عنه ـ للجماعة القرشيين الذين تولوا نَسْخ المصاحف مع زيد : «اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم» فهذا القول يدل على الحرص الكبير في أن يكتب القرآن وَفق النطق الذي سمع من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو نطق قريش ، والقرشيون كانوا أقدر على تقليد نطق النبي من زيد بن ثابت ، الذي كان من أهل المدينة ، وان كان زيد أكثر ممارسة لكتابة المصحف • ومن أمثلة ذلك الاختلاف في كتابة الكلمات ماروي عن ابن شهاب الزهري أنه قال : «فاختلفوا يومئذ في التابوت،والتابوه،فقال القرشيون التابوت، وقال زيد التابوه ، فرفع اختلافهم الى عثمان ، فقال اكتبوه التابوت ، فانه نزل بلسان قريش»(١) •

أما الجماعة الذين تولوا العمل فقد كان على رأسهم زيد بن ثابت الانصاري ، الذي كان ألزم الصحابة لكتابة الوحي في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الذي تولى جمع القرآن

---

(١) فتح الباري ٩/٢٠ •

في الصحف في خلافة الصديق ، وقد اجتمع لزيد بن ثابت من الصفات مايؤهله للقيام بذلك العمل خير قيام تربى زيد في كنف الوحي ، اذ كان عمره ـ عند وصول النبي الى المدينة مهاجراً ـ إحدى عشرة سنة[1] . ويروى أنه قال : «أُتي بي النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَقْدَمَهُ المدينةَ ، فقالوا : يارسول الله هذا غلام بني النجار ، وقد قرأ مما أُنزل عليك سبع عشرة سورة فقرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبه ذلك»[2] . وتوفي زيد بن ثابت في المدينة سنة خمس وأربعين للهجرة ، في أرجح الاقوال .

وكان يعاون زيدَ بن ثابت ثلاثة" من القرشيين :

عبدالله بن الزبير ، الذي ولد في السنة الاولى من الهجرة ، وهو أول مولود في الاسلام من المهاجرين بالمدينة . واستشهد بمكة سنة ثلاث وسبعين من الهجرة[3] .

وسعيد بن العاص الذي ولد عام الهجرة ، وتوفي سنة تسع وخمسين ، وكان أحد أشراف قريش ، ممن جمع السخاء والفصاحة[4] .

والثالث عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وكان ابن عشر سنين حين توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم[5] .

فكان هؤلاء الثلاثة ، وهم في ذروة الشباب ، يعملون مع زيد بن ثابت حتى أنجزوا نَسْخ المصاحف التي أُرسلت الى الامصار الاسلامية .

× × ×

(١) ابن عبدالبر : الاستيعاب ٢/٥٣٧ .
(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢/٢٠٧ .
(٣) ابن عبدالبر : الاستيعاب ٣/٩٠٥ .
(٤) المصدر نفسه ٢/٦٢١ .
(٥) المصدر نفسه ٢/٨٥٧ .

وكان نَسْخ المصاحف قد خضع للمراجعة والتدقيق ، على نحو ماكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطلب من زيد بن ثابت اعادة قراءة ما كتبه ، فيقيم ما به من سقط • فكان الصحابة الأربعة الذين تولوا نسخ المصاحف • حرصا منهم على الاتفاق في رسم بعض الكلمات ، يرفعون ذلك الى الخليفة عثمان ، الذي كان أحد كتبة الوحي للنبي ، على نحو ماحدث في كلمة (التابوت)، أو يستشيرون كبار الصحابة من حفاظ القرآن • فقد روى أبو عبيد في كتابه «فضائل القرآن» والطبري في تفسيره «جامع البيان» روايتين عن أبي سعيد هانىء البربري الدمشقي ، مولى عثمان بن عفان تؤكدان هذا المعنى •

جاء في الرواية الأولى أن هانئاً قال : كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت ، فقال زيد : سله عن قوله : (لم يتسنَّ) ، أو (لم يتسنَّه) ، فقال عثمان : اجعلوا فيها هاء[1] •

وجاء في الرواية الثانية أن هانئاً قال : كنت عند عثمان ، وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلني بكتف شاة الى أُبي بن كعب ، فيها (لم يتسنَّ) ، و (فأمهل الكافرين) ، و (لا تبديل للخلق) • قال : فدعا بالدواة فمحا احدى اللامين وكتب (لا تبديل لخلق الله) ، ومحا (فأمهل) وكتب (فمهل الكافرين) وكتب (لم يتسنه) ألحق فيها الهاء[2] •

وهاتان الروايتان توضحان أنه قد كانت هناك مراجعة واستشارة في اثبات صورة كلمة ما ، وتبينان مدى الحرص على

(١) فضائل القرآن الورقة : ٣٦ظ ، وجامع البيان ٣/٣٧ ، والصاحبي، لابن فارس ص٩ •
(٢) فضائل القرآن الورقة ٣٧ ، وجامع البيان ٣/٣٨ •

أن يأتي المصحف دقيقا في رسمه ، حين يتوقف الكتبة عن الحاق لام أو هاء ، أو حذف ألف ، حتى يستشار في ذلك كبار الصحابة من كتبة الوحي وحفظة القرآن ٠

× × ×

أما عدد المصاحف التي تم نسخها في المدينة في خلافة عثمان فانه غير محدد ، وما جاء في رواية أنس بن مالك السابقة عن نَسْخ المصاحف من أن عثمان «أرسل الى كل أُفق بمصحف مما نسخوا» يفهم منه أن عدد المصاحف كان كبيرا ٠ وقد جاء روايات متأخرة تتحدث عن عدد المصاحف ؛ فقد رُوي عن حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦ هـ) أنهـا كانت أربعـة ، وروي عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) أنها سبعة أُرسلت الى مكة والكوفـة ، والبصرة ، والشـام ، والبحرين واليمن ، وبقي منها واحد في المدينة[١] ٠

ومما لاشك فيه أن المسلمين سارعوا الى نسخ المصاحف النُسخ التي أرسلها عثمان الى الامصار ، ولم تمض فترة حتى كانت المصاحف التي بأيدي المسلمين كثيرة العدد ٠ و موحدة في ترتيبها ، ورسم الكلمات فيها ٠

أما السنة التي تم فيها نسخ المصاحف وتوزيعها ، فهي خلافة عثمان لاشك في ذلك ، والراجح أن ذلك تم في سنة وعشرين من الهجرة ، وهـي السـنة التي ذكر أهل التاريخ أرمينية فتحت فيها ، ولا مستند لمن ذهب الى أن ذلك تم في ثلاثين من الهجرة[٢] ٠

(١) ابن أبي داوود : كتاب المصاحف ص٣٤ ٠ والزركشي : ٢٤٠/١ ٠

(٢) ابن حجر : فتح الباري ١٧/٩ ٠

ترتيب الآيات والسور في المصحف

روى الداني عن عبدالله بن وهب ، تلميذ مالك بن أنس إمام المدينة ، أنه قال : «سمعت مالكا يقول : انما أُلِّف القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم»[٣] . وهذا يعني أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ حين جمعوا القرآن في الصحف ، وحين نسخوا المصاحف ، رتبوا الآيات والسور في المصحف على النسق الذي كانوا يسمعونه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين يقرأ القرآن .

أما ترتيب الآيات في داخل السور فقد قال عنه السيوطي : «الاجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفيٌ ، لا شبهة في ذلك»[٤] أي أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأمر الصحابة حين تنزل عليه الآيات أن يضعوها في السورة التي بينها لهم .

وقد عرفنا من قبل أن القرآن الكريم نزل مفرقا ، وكانت الآية الواحدة ربما نزل أولها وتأخر نزول آخرها ، لكن ذلك لم يجعل الصحابة يخلطون بين السور في قراءتهم ، لان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يبين لهم مواقع ما ينزل عليه من الآيات في السور ، كما ورد في الحديث الذي يرويه ابن عباس، عثمان بن عفان أنه قال : (ان رسول الله ـ صلى الله عليه

---

٣ الداني : المقنع ص٨ ، والسيوطي : الاتقان ١/١٧٥ .
٤ الاتقان ١/١٧٢ .

وسلم ـ كان مما يأتي عليه الزمان يُنْزَلُ عليه من السور ذوات العدد ، وكان اذا أُنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده، يقول : ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، ويُنزل عليه الآيات فيقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)[٢] .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينهى عن خلط آيات السور ، ويأمر بقراءة آيات كل سورة على نحو ما قرأها هو على الصحابة ، كالذي رواه أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لبلال : مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ، ومن هذه السورة ، فقال بلال : أخلط الطيب بالطيب ، فقال : اقرأ السورة على وجهها ، أو قال : على نحوها . وفي رواية أُخرى أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لبلال : اذا قرأت السورة فانفذها[٣] .

وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلِّمُ الصحابة القرآن، وكان يقرؤه هو في الصلاة ، فيسمعونه منه مرتبا ، وفي الرواية الآتية التي ينقلها البخاري أكبر دليل على أن القرآن رُتب في المصحف على ما كان يسمع من قراءة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد روى البخاري عن عبدالله بن الزبير أنه قال « قلت لعثمان بن عفان (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) قد نسختها الآية الاخرى ، فَلِمَ تكتبها أو تدعها ، قال يا ابن أخي،

---

(٢) أحمد بن حنبل : المسند ١/٣٩٩ و٤٩٩ ، وأبو عبيد : فضائل القرآن الورقة : ٣٥ ، والسيوطي : الاتقان ١/١٧٢ .

(٣) فضائل القرآن الورقة : ٢٠ ، وانظر السيوطي : الاتقان ١/٣٠٨ .

لا أغيّر شيئا منه من مكانه»[1] . فكل شيء في القرآن عرف مكانه ، ولا يملك الصحابة الا أن يثبتوه كما تلقوه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ويروي ابن سعد والبخاري أن جبريل ـ عليه السلام ـ كان يعرض القرآن على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلّ سنة مرة في شهر رمضان ، فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين[2] . ولا شك في أن ذلك العرض كان يتم على ترتيب معين، وعرفه الصحابة من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا سيما أن من بينهم عددا من الحفاظ للقرآن ، منهم : عثمان بن عفان ، وأبَي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبو الدرداء ، وزيد بن ثابت، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد ، وعبادة بن الصامت ، وأبو أيوب الانصاري ، وتميم الداري ، ومجمع بن جارية ، وعبدالله بن مسعود ، وغيرهم ، وبعض هؤلاء أكمل الحفظ بعد موت النبي ، وأكثرهم حفظه والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينهم[3] ، وغير هؤلاء من الصحابة كانوا يحفظون الأجزاء المتعددة من القرآن .

ولا بد أن هؤلاء كانوا يحفظون القرآن على ترتيب مشهور قد عرفوه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن ثَمَّ فانهم لم يجدوا صعوبة في ترتيب السور حين جمعوا القرآن في الصحف، لشهرة ذلك بينهم ، ومضوا على ذلك الترتيب حين نسخوا المصاحف في خلافة عثمان ؛ وهو الترتيب الموجود ، في المصاحف الى اليوم ·

ومما يؤكد أن ترتيب سور القرآن كان معروفا في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبتوجيه منه ، وان ذلك الترتيب لم يكن من الصحابة عن رأي ، وانما كان ذلك منهم عن اتباع ـ ما رواه أبو عبيد عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقوم الليلة التمام فيقرأ بسورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء لا يمر بآية فيها استبشار الا دعا ورغب ، ولا يمر بآية فيها تخويف الا دعا الله واستعاذ[1] · كذلك ما رواه البخاري عن ابن مسعود أنه قال في بني اسرائيل (الاسراء) ، والكهف ، ومريم ، وطه : والانبياء : انهن من العتاق الاول، وهن من تلادي[2] · فقد ذكرت السور في هذه الأحاديث مرتبة على نحو ترتيبها في المصحف ·

ومن هذه الروايات ، وأخرى غيرهـا ، يمكـن أن نرجح أن ترتيب السور في المصحف قد عرفه الصحابة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانه لم يكن باجتهاد منهـم ، ولا دليـل على أن الصحابة رتبوه بأنفسـهم ، فكيف يقـدم الصحابـة على اختراع ترتيب للسور وترتيب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معروف لديهم ، وقد حفظوا القرآن منه على ذلك الترتيب ؟

ومن المناسب أن تقرأ في آخر الكلام على كتابة القرآن وجمعه ماقال أبو شامة في كتابه (المرشد الوجيز) عن هـذا الموضـوع ، (واعلم أن حاصل ما شهدت به الأخبار المتقدمة ، وما صرحت به أقوال الأئمة تأليف القرآن على ماهو عليه الآن كان في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ باذنه وأمره ، وأن جمعه في الصحف خشية اندثاره بقتل قرائه كان في زمن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وأن نَسْخه في مصاحف ، حملاً للناس على اللفظ المكتوب حين نزوله باملاء المنزل عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنْعا من قراءة كل لفظ يخالفه ، كـان في زمن عثمان ـ رضي الله عنه ـ وكانَ أبا بكر كانَ غرضه أن يجمع القرآن مكتوبا مجتمعا غير مفرق على اللفظ الذي أمـلاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على كتبـة الوحي ليعلم ذلك ، ولم يكل ذلك الى حفظ من حفظه خشية فنائهم بالقتل، ولاختلاف لغاتهم في حفظهم ، على ماكان أُبيح لهم من قراءته على سبعة أحرف ، فلما ولي عثمان ، وكثر المسـلمون وانتشـروا في البلاد وخيف عليهم الفساد من اختلافهم في قراءتهم لاختلاف لغاتهم حملهم عثمان على ذلك اللفظ الذي جمعه زيد في زمن أبي بكر ، ونفَى ماعداه ليجمع الناس على قراءة القرآن ، على وَفق مانزل على محمد ـ صلى الله عليه وسـلم ـ ولا يكثـر فيـه التصـرف ، فيتفاحش تغيره ، وتمحق ألفاظه المنزلة .

فقد اتضح بما ذكرناه معنى مافعله كل واحد من الامامين أبي بكر وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ وتبين أن قصد كل واحد منهما غير قصد الآخر ، فأبو بكر قصد جمعه في مكان واحد ، ذخراً للاسلام يرجع اليه، إن اصطُلم[1] ـ والعياذ بالله ـ قراؤه، وعثمان قصد أن يقتصر الناس على تلاوته على اللفظ الذي كتب بأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يتعدوه الى غيره من القراءات التي كانت مباحة لهم)[2] .

المصحف في الوقت الحاضر

استخدم زيد بن ثابت والصحابة الذين كانوا معه الكتابة العربية في تدوين القرآن الكريم في المصحف ، وكذلك كتبه المسلمون بالطريقة نفسها حتى وقتنا الحاضر ، لكن الكتابة العربية كانت في فترة نسخ المصاحف العثمانية ـ أي المصاحف التي نسخت في خلافة عثمان ـ تمتاز بعدة ميزات : منها أن الحروف المنقوطة ـ اليوم ـ كانت مجردة من نقط الاعجام ، وكانت الكتابة خالية من علامات الحركات ، والعلامات الاخرى المستخدمة ، في الكتابة العربية[3] .

وكان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يكرهون أن يكتب مع النص القرآني شيء سواه ، فالمصاحف الاولى كانت خالية من أسماء السور،

---

(١) الصلم : القطع ، والاصطلام : الاستئصال ، واصطلم القوم : أبيدوا .

(٢) المرشد الوجيز ص٧٠ـ٧١ ، وانظر في هذا المعنى : السيوطي : الاتقان ١/ ١٧١ .

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٨/ ١٨٥ وما بعدها، وتاريخ العرب قبل الاسلام (له) ٧/ ٢٧٠ وما بعدها .

وذكر عدد الآيات ، وبيان مكان نزول السور ، كما كانت خالية من علامات رؤوس الآي ، مما نجده اليوم في المصاحف من أرقام على رأس كل آية،وخالية من علامات الأجزاء والأحزاب،ومن الزخارف التي ترسم في أوائل السور . فلم يكتب في المصحف آنذاك إلا السور ، مبدوءة بالبسملة فقط ، ولم يكن يفصل بين السورة والسورة غير سطر البسملة . وكان الصحابة والتابعون يكرهون أن يزاد في المصحف شيء من هذه الأمور التي زيدت فيما بعد،وكانوا يقولون : «جردوا القرآن ، ولا تلبسوا ما ليس منه»(٢) .

ولم يأخذ المصحف الشريف صورته الاخيرة التي نجدها في المصاحف المطبوعة وكثير من المصاحف المخطوطة الا بعد مرور فترة من الزمن ، لكن رسم الكلمات في المصاحف الموجودة بيننا لا يختلف عن رسمها في المصاحف القديمة ، فقد وصف لنا العلماء المتقدمون طريقة رسم الكلمات في المصاحف العثمانية الاولى والمصاحف المنقولة عنها ، وألّفوا في ذلك الكتب الكثيرة . ولعل من أشهر تلك المؤلفات كتاب (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الامصار) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة ٤٤٤هـ ، حيث نجد في هذا الكتاب وصفا لطريقة رسم الكلمات في المصاحف العثمانية، وظل خطاطو المصاحف ــ على مر العصور ــ يحرصون على الالتزام برسم الكلمات في المصحف بتلك الطريقة التزاما كاملا .

ولا شك في أن القراءة في المصاحف المكتوبة بالكتابة العربية القديمة الخالية من النقط والحركات أمر صعب على غير الحفاظ للقرآن ، وقد يؤدي الى الخطأ في القراءة ، ولهذا فكر علماء السلف من التابعين في ايجاد وسيلة تقي الناس اللحن في كتاب الله .

---

(٢) ابن أبي شيبة : الكتاب المصنف ٢/٤٩٧،والداني : المحكم ص١٠ .

وعلامات الحركات ونقاط الحروف التي نجدها في الكتابة العربية ، سواء في المصاحف أم في الكتب مرت بمراحل حتى أخذت هذا الشكل ، فكانت الحركات في المرحلة الاولى على شكل نقط مدورة ، بلون يخالف الكتابة ، ثم تغيرت في المرحلة الثانية الى العلامات الصغيرة .

أما استخدام النقط لتمثيل الحركات فقد تم منذ وقت مبكر يرجع الى النصف الثاني من القرن الهجري الاول ، حين قام العالم أبو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي البصري ، المتوفى سنة ٦٩ هجرية ، بوضع أساس طريقة استعمال النقط للحركات ، فيروى أنه قال لكاتبه : «خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد ، فاذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف ، واذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف ، واذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله . فان اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين ، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره»[1] .

وانتشرت هذه الطريقة في تمثيل الحركات ، واستمر العمل بها وحدها الى أواخر القرن الثاني الهجري عندما اخترع الخليل الحركات المعروفة اليوم ، فحلت تدريجيا محل نظام النقط القديم .

وقبل اختراع الخليل لعلامات الحركات تم تنقيط الحروف المتشابهة في السورة ، في أواخر القرن الهجري الاول ، على يد تلامذة أبي الاسود الدؤلي ، فقد قام نصر بن عاصم الليثي (ت ٩٠ هـ) ويحيى بن يعمر (ت قبل ٩٠ هـ) بوضع النقاط على الحروف أزواجا

(١) أبو بكر الانباري : كتاب ايضاح الوقف والابتداء ١/٣٩٣ ، والداني : المحكم ص٦ .

وأفرادا ، فوضعوا للباء واحدة من أسفل ، وللتاء اثنتين من أعلى ، وهكذا في بقية الحروف ، على مانجده في كتابتنا اليوم[1] .

وبعد أن ابتكر نصر ويحيى طريقة تمييز الحروف المتشابهة بواسطة نقط الاعجام ظهرت مشكلة اختلاط نقاط الحركات بنقاط اعجام الحروف ، رغم اختلاف لون كل منهما ، إذ إن نقاط الاعجام بلون الكتابة نفسه ، بينما نقاط الحركات بلون آخر ، وقد استطاع عالم العربية الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) أن يحل ذلك الاشكال حين جعل الحركات حروفا صغيرة ، بدل النقط ، فالضمة واوصغيرة فوق الحرف ، والكسرة ياء مردودة تحت الحرف،والفتحة ألف مائلة فوق الحرف ، ووضع الخليل اضافة الى الحركات علامات للهمزة والتشديد والروم والاشمام[2] .

وقد ألف علماء السلف في موضوع اعجام الحروف ونقط الحركات وضبطها عدة مؤلفات ، من أشهرها كتاب الداني المسمّى (المحكم في علم نقط المصاحف) .

أما علامات رؤوس الآى فانها أضيفت أولا على شكل ثلاث نقاط عند رأس الآية ، ثم تطورت الى دائرة ، وظهر في داخلها رقم الآية في فترات متأخرة ، ثم أدخل الناس في المصاحف فواتح السور وعلامات أجزاء الصحف ، وقد كره ذلك بعض التابعين ، لانه لم يكن معروفا في المصاحف التي كتبها الصحابة ، وتسامح من جاء بعدهم في هذه الزيادات ، لأنها مما يفيد القارىء ، ولأنها لاتلتبس بنص القرآن[3] .

---

(١) العسكري : شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ص١٣ ، وحمزة الاصفهاني : التنبيه على حدوث التصحيف ص٢٧ .
(٢) الداني : المحكم ص٦-٧ .
(٣) الداني : المحكم ص١١ ، والسيوطي : الاتقان ٤/١٦٠ .

وهكذا أخذ المصحف شكله الاخير الذي نجده بين أيدينا ، منذ زمن مبكر ، ولم يؤد ما أُدخل عليه من اضافات في ضبط الكتابة ، أو بيان أسماء السور ، وعدد الآيات والأجزاء ـ الى أية زيادة في النص القرآني أو نقصانه ، بل زادته دقة وضبطا ، فالمسلمون منذ العصر الاول للاسلام الى وقتنا الحاضر يقرأون القرآن بطريقة واحدة ولم يؤثر تقادم العصور على النص القرآني ، فقد هيأ الله له أسباب البقاء ، حفظا في الصدور ، وكتابة في السطور ، منذ زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى عصرنا ، وحين ظهرت الطباعة أسهمت في نشر ملايين النسخ من المصحف وايصالها الى أيدي الناس .

واذا أخذتَ مصحفا من المصاحف المطبوعة ، وقابلته بأحد النسخ القديمة من المصاحف المكتوبة على الرَّق ، بالخط الكوفي المجرد القديم ، لوجدت النص واحداً ، والتطابق تاما بين المصحفين ، سوى أن المصحف القديم مكتوب بالخط الكوفي على الرق ، والمصحف المطبوع مكتوب بخط النسخ على الورق ، وسوى الزخارف التي تحيط بالآيات في المصحف المطبوع ، وهي اختلافات شكلية لاتؤثر على النص القرآني شيئا .

ويتحقق بكل هذا وعد الله تعالى في حفظه القرآن من التبديل أو التحريف ، في قوله سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون)[1] ، فالقرآن الكريم حجة الله الباقية على البشر جميعا ،

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٩ .

على مدى العصور ، فالله تعالى هو الذي هيأ أسباب حفظ القرآن حين أنزله على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منجماً طيلة ثلاثة وعشرين عاما ، وحين كتابته على القطع المتفرقة بأمره ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وحين جمعه في الصحف المنظمة في خلافة الصديق ، ونسخه في المصاحف في خلافة عثمان ، ثم بعد ذلك حين تناقله المسلمون جيلا بعد جيل ، حفظا في الصدور ، وكتابة في السطور ، من غير تغيير أو تبديل . وهذه ظاهرة لانجدها قد حصلت في أمة مع كتابها من قبل أبداً .

الفصل الرابع

علم المكي والمدني

وفيــه :

١ ـ تعريف المكي والمدني ·

٢ ـ طريقة معرفة المكي والمدني ·

٣ ـ السور المكية والسور المدنية ·

٤ ـ أهمية معرفة المكي والمدني ·

تعريف المكي والمدني

القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة ، بل نزل مفرقا ، كما هو معروف ، وقد استغرق نزول القرآن ثلاثة وعشرين عاما • ثلاثة عشر منها في مكة ، وعشر سنين في المدينة • ومن القرآن مانزل في مكة ، ومنه مانزل في المدينة ، ومنه مانزل خارج مكة والمدينة، ومنه مانزل في الليل ومنه مانزل في النهار • وهكذا كان ينزل القرآن في مختلف الأوقات ، ومختلف الاماكن التي يؤمها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ •

وقد اهتم العلماء بهذا الجانب من تاريخ القرآن ، وتتبعوا السور والآيات ، يبينون وقت نزولها أو مكانه ، وقد اطلق على هذه المباحث (علم المكي والمدني) •

وللعلماء في تعريف المكي والمدني ثلاثة مذاهب[1] :

الأول : أنّ المكي مانزل قبل الهجرة ، والمدني مانزل بعدها ، سواء أنزل بمكة أم بالمدينة ، عامَ الفتح أو عامَ حجة الوداع ، أم بسفر من الاسفار • أي ان الزمن هو المقياس في هذا التعريف • وقد روى الداني بسنده الى يحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ) أنه قال : «مانزل بمكة ومانزل بطريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ المدينة فهو من المكي ، ومانزل على النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ في أسفاره بعد ماقدم المدينة فهو من المدني»[2] •

الثاني : أنّ المكي مانزل بمكة ، ولو بعد الهجرة ، والمدني مانزل بالمدينة • أي أن مكان نزول الآية هو المقياس في هذا

---

(١) الزركشي : البرهان ١/١٧٨ ، والسيوطي : الاتقان ١/٢٣ •
(٢) الداني : البيان في عدّ آي القرآن : الورقة ٤٤ظ •

التعريف ، وقد قسم هبة الله بن سلامة (ت ٤١٠هـ) المكيّ الى قسمين ، هما[٣] :

المكي الأول : وهو ما نزل في مكة قبل الهجرة ٠

المكي الأخير : وهو ما نزل فيها بعد الفتح ٠

ولاشك في أن هذا التعريف لايشمل كل سور القرآن وآياته ، لأن من القرآن ما نزل خارج مكة والمدينة ٠

الثالث : أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة ٠ وأساس هذا التعريف يعتمد على موضوع الآيات أو السور ، لكنه لا يشمل إلا قسما من القرآن ، لأن كثيرا من القرآن لم يكن خطابا لأهل مكة أو أهل المدينة ، خاصة ٠

وقد رجح معظم العلماء التعريف الأول ، لأنه يقوم على أساس شامل ، لأن السور أو الآيات لابد أن تكون قد نزلت قبل هجرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المدينة ، أو بعدها ، بغض النظر عن مكان النزول ٠

---

(٣) هبة الله بن سلامة : الناسخ والمنسوخ ص٣٢٢ـ٣٢٣ ٠

طريقة معرفة المكي والمدني

قال ابراهيم بن عمر الجعبري ، (ت ٧٣٢هـ)[١] : لمعرفة المكي والمدني طريقان : سماعي وقياسي :

فالسماعي ما وصل الينا نزوله بأحدهما ، وقد قال القاضي أبو بكر بن الطيب : انما يرجع في معرفة المكي والمدني الى حفظ الصحابة والتابعين ، الذين شهدوا فترة التنزيل[٢] .

وأما القياسي فهو الذي لم يرد فيه نص يبين نوع السورة أو الآية ، والطريق القياسي لمعرفة السور المكية والمدنية يقوم على جملة ضوابط تتعلق بأسلوب السور وموضوعاتها ، ومن تلك الضوابط[٣] :

١ ـ كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية ، وكل ما كان فيه من ذكر القرون الماضية فهي مكية .

٢ ـ كل سورة فيها قصة آدم وابليس فهي مكية ، إلا البقرة .

٣ ـ وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية سوى العنكبوت .

٤ ـ كل سورة فيها (كَلاّ) فهي مكية .

٥ ـ كل سورة في أولها الحروف المقطعة فهي مكية ، إلا البقرة وآل عمران ، وفي الرعد خلاف .

٦ ـ وما كان في القرآن (ياأيها الذين آمنوا) فهو مدني ، وما كان (يا أيها الناس) فمنه مكي ومدني ، وأكثره مكي .

---

(١) الزركشي : البرهان ١/١٨٩ .
(٢) السيوطي : الاتقان ١/٢٣ .
(٣) الداني : البيان في عدّ آي القرآن : الورقة ٤٤ .

أهمية معرفة المكي والمدني

الى جانب أن دراسة المكي والمدني تقفنا على الظروف التي نزلت فيها سور القرآن ، فان وراء ذلك فوائد عدة لهذه الدراسة ، منها[1] :

١ ـ تمييز الآيات الناسخة من الآيات المنسوخة يتوقف على معرفة ما نزل أولا ، أي معرفة السور المكية والمدنية . قال أبو جعفر النحاس[2] : «وانما نذكر ما نزل بمكة لأن فيه أعظم الفائدة في الناسخ والمنسوخ ، لأن الآية اذا كانت مكية ، وكان فيها حكم ، وكان في غيرها حكم غيره ، نزل بالمدينة ، عُلِمَ أن المدنية نسخت المكية» .

٢ ـ أنّ تتابع الوحي على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ساير تاريخ الدعوة بأحداثها في العهد المكي والعهد المدني ، منذ بدأ الوحي حتى آخر آية نزلت ، والقرآن الكريم من هذه الناحية يعتبر المرجع الأصيل لدراسة السيرة النبوية ، وترتيب السور ترتيبا زمنيا يمكننا من تصور تاريخ السيرة تصوراً أكثر جلاء .

٣ ـ أن تتبع السور المكية والمدنية والنظرة في موضوعاتها وأسلوبها يوقفنا على المنهج الذي رسمه القرآن للدعوة في مراحلها المختلفة ، ففي مكة نزل القرآن على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليخاطب أناساً غلبت عليهم مظاهر الجاهلية في العقيدة والاخلاق ، وفي الاقتصاد والاجتماع ، على السواء ، فجاء القرآن يريد أن يغير ذلك كله الى عبودية خالصة لله تعالى ، فتتلقّى البشرية منه

---

(١) القطان : مباحث في علوم القرآن ص٥٩ـ٦٠ .
(٢) الناسخ والمنسوخ ص٢١٤ . وانظر الحارث المحاسبي : فهم القرآن ص٣٩٤ .

نظامها الذي ارتضاه لها ، ولهذا فقد جاء اسلوب السور المكية ـ خاصة ما نزل اولا ، أسلوبا قويا زاجراً ، فهذه الآيات القصار ، وهذه الفواصل المتداركة ، وهذه الصور الباهرة ، اسلوب يشد اليه الأسماع والألباب ، فكان هذا الاسلوب القرآني المعجز هو الذي فتح آذان العرب وقلوبهم،ليسمعوا القرآن ويتدبروا معانيه، ويؤمنوا بما جاء فيه ٠

وكانت موضوعات السور المكية تتحدث عن قضية واحدة ، هي قضية العقيدة ، وان تعددت صور عرضها ، فقد كان القرآن المكي يفسر للانسان سر وجوده ووجود هذا الكون من حوله ، ولم يتجاوز القرآن المكي المعاني الأساسية في قضية العقيدة الى غيرها من تفاصيل النظام وأمور الحلال والحرام ، إلا قليلاً ، فلما استقرت تلك المعاني في قلوب العصبة المؤمنة التي آواها الله تعالى الى المدينة المنورة ، حيث كوّن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نواة المجتمع الاسلامي والدولة المسلمة ، عندها أنزل الله تبارك وتعالى من القرآن ما يبين تفاصيل نظام الحياة في المجتمع المسلم، فجاءت السور المدنية تبين الفرائض والحدود بأسلوب سلس ، وهكذا حققت السور المكية دورها في بناء القاعدة التي يقوم عليها بنيان الاسلام ، وحققت السور المدنية دورها في إرساء تفاصيل ذلك النظام ٠

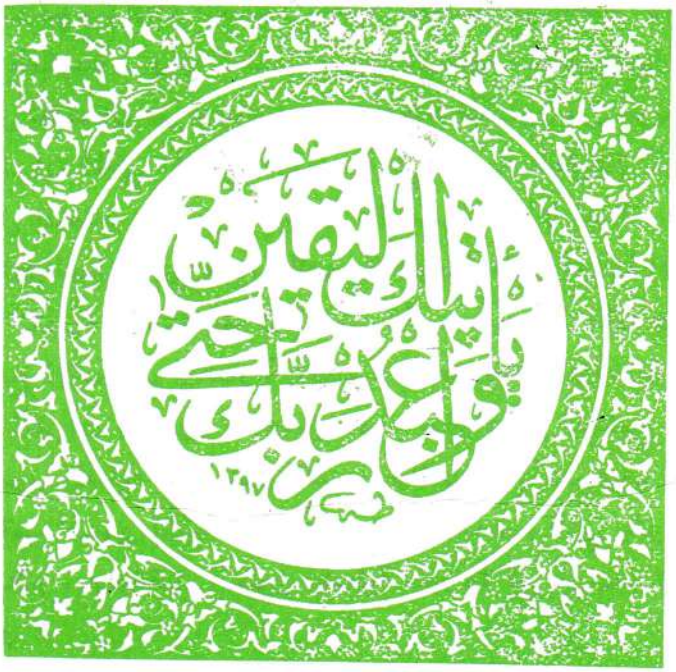
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
١٢٩٧

الفصل الخامس

علم القراءات

وفيـه :

١ ـ أصل القراءات القرآنية .

٢ ـ رواية القراءات واشهر القراء .

٣ ـ القراءة الصحيحة والقراءة الشاذة .

أصل القراءات القرآنية

القرآن الكريم تواتر نقله نطقاً ، كما تواتر نقله كتابة ، فقد نقل علماء السلف ، جيلا بعد جيل ، من عصر الصحابة حتى العصر الذي نحن فيه طريقة نطق كلمات القرآن ، نقلا يعتمد على التلقي الشفهي ، وألفوا الى جانب ذلك المؤلفات الكثيرة التي تصف ذلك النطق ٠

وفي دراسة قراءة القرآن ينبغي أن نبدأ بعصر نزول القرآن، حين كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتلو ماينزل عليه من القرآن على الناس وكان يعلمه من يدخل في الاسلام ، ويحث على تعلمه وقراءته ٠ حتى اذا كثر المسلمون استعان بهم في تعليم الداخلين في الدين ، فكان اذا دخل رجل في الاسلام دفعه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الصحابة ، وقال لهم : «فقهوا أخاكم في دينه ، واقرئوه ، وعلموه القرآن ٠٠٠»[1] ٠ وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه»[2] ، ويقول عن القرآن : (اتلوه فان الله يأجركم على تلاوته كلّ حرف عشر حسنات»[3] ٠ فكان الصحابة بهذه التوجيهات النبوية يقبلون على تعلم القرآن وقراءته وحفظه ٠

والقرآن الكريم منزل باللغة العربية ، وقد وصفه تعالى بأنه عربي ، وأنه بلسان عربي مبين ، مصداقا لقوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ، ليبين لهم)[4] ٠ ويذهب أكثر العلماء

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٣/١٣٥٤ ٠
(٢) البخاري : الجامع الصحيح ٦/٢٣٦ ٠
(٣) الحاكم : المستدرك ١/٥٥٥ ٠
(٤) سورة إبراهيم ٠ الآية : ٤ ٠

الى أن القرآن الكريم منزل بلغة قريش خاصة ، من بين اللغات واللهجات العربية الموجودة في جزيرة العرب آنذاك ، يدل على ذلك ما قاله عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ للثلاثة القرشيين الذين نسخوا المصاحف مع زيد بن ثابت : «اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن ، فاكتبوها بلسان قريش ، فان القرآن أُنزل بلسانهم»(٥) .

ومعنى قول العلماء : إن القرآن منزل بلغة قريش ، هو أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلقاه من جبريل ـ عليه السلام ـ وتلاه على الناس بنطق يطابق نطق العربية السائد في مكة المكرمة التي تقطنها قبيلة قريش . وكان كتبة الوحي يكتبون القرآن على نحو ما يسمعونه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ولهذا فان عثمان بن عفان أمر الجماعة التي نسخت المصاحف أن يكتبوه على حسب نطق قريش ، الموافق لنطق النبي صلى الله عليه وسلم .

والقبائل العربية التي كانت تقطن مدن الجزيرة العربية وباديها كانت كل واحدة منها تمتاز بنطق خاص للغة العربية ، يغاير نطق القرشيين ، وكان ذلك النطق المتميز يطلق عليه اسم لهجة أو لغة ، فيقال لغة تميم ، ولغة قيس ، ولغة أسد ، ولغة أهل اليمن ... ، وحين دخل أفراد هذه القبائل في الاسلام وقرأوا القرآن شق عليهم أن ينطقوه كما ينطقه القرشيون ، لأن ألسنتهم اعتادت على نطق مغاير ، فكان من الصعب عليهم أن يبدلوا نطقهم ، على نحو ما نلمس في وقتنا الحاضر حين ينشأ الفرد في منطقة

(٥) البخاري : الجامع الصحيح ٦/ ٢٢٤ .

ويتعلم العربية الدارجة فيها ، فانـه يصعب عليه التحول منها الى نطق منطقة أخرى ، علما أنّ القراءة والكتابة تكاد تكون معدومة في بلاد العرب آنذاك ، فقد كان القرآن الكريم الكتاب الأول الذي عرفه العرب مكتوبا بلغتهم ·

وأمام ذلك الوضع اللغوي المعقد لم يحمل رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس على تعلم نطق قريش ، وانما أذن لهم أن يقرأوا القرآن بالنطق الذي يستطيعون تحقيقه · وقـد جـاء في الحديث أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لجبريل ـ عليه السلام : «ياجبريل انى بعثت الى أمة أميين ، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لـم يقرأ كتابا قط ، قال : «يا محمد إن هذا القرآن أنزل على سبعة احرف»[1] ·

وقد تواتر في أحاديث صحيحة كثيرة ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (إن هذا القرآن أنزل على سـبعة أحرف ، فاقرأوا ماتيسر منه)[2] ·

ونقل الطبري في تفسيره أنـه : «قـرأ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كل خمسٍ رجل ، فاختلفوا في اللغة ، فرضي قراءتهم كلهم ···»[3] ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم الصحابة قراءة القرآن ، ويسمع منهم ، ويقرهم على قراءتهم ، تخفيفا وتوسعة من الله تعالى عليهم ، حتى يتمكنوا من قراءة القرآن وفهم معانيه ·

---

(١) أبو شامة : المرشد الوجيز ص٨٢ ·

(٢) انظر روايات الحديث في صحيح البخاري ٦/٢٢٧ ، وصحيح مسلم ١/٥٦٠ ، وتفسير الطبري ١/١١ـ٢٠ والابانة لمكي ص٦٢ ، والمرشد الوجيز لابي شامة ص٧٧ـ٨٩ ·

(٣) جامع البيان ١/١٩ ·

على أنّ الاختلاف في القراءة لم يتعدّ وجوه النطق المتقاربة التي لاينقلب فيها اللفظ ، ولا يتغير معهـا المعنى[٢] . والحديث الشريف : «انّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ماتيسر منه» ، لاتحدد ألفاظه معنى الأحرف السـبعة الـواردة فيه ، لكن الصحابة فهموا منه تلك الرخصة التي يسر الله بها عليهم في قراءة القرآن . وقد روى الامام مسلم في صحيحـه أن محمد بن شـهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) قال عن معنى هذا الحديث : «بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحـداً ، لايختلف في حلال ولا حرام»[٣] ، أي أن معنى الالفاظ المختلف في قراءتها لايتغير معناها ، وانما الذي يتغير هو النطق فقط .

وحاول بعض العلماء تحديد المقصود بالسـبعة المذكورة في الحديث ، فقال : المراد سبع لغات من لغات العرب .

وقال غيره : المقصود بالأحرف السبعة سبعة ألفاظ مختلفـة في النطق متفقة في المعنى .

وقال آخرون : هي سبعة من وجوه اختلاف القراءات المروية .

وقال فريق رابع : إنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد ، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة في القراءة[٤] .

---

(٢) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ص٢٩ـ٣٠ .

(٣) صحيح مسلم ٢٠٢/٢ ، وانظر الزركشي : البرهان ١١/١ .

(٤) انظر تفصيل هذه الاقوال في : كتاب (الابانة عن معاني القراءات) لمكي بن أبي طالب ، وكتاب (المرشد الوجيز) لأبي شـامة ، وكتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي ٢١١/١ ، وكتاب (الاتقان في علوم القرآن) للسيوطي ١٣١/١ .

وخلاصة القول هي أن قراءات القرآن ماهي إلا حل لمشكلة اختلاف نطق قبائل العرب ، وقت نزول القرآن ، فقد يسر الله عليهم برخصة الأحرف السبعة قراءة القرآن ، بوجوه من النطق لايترتب عليها أي اختلاف في المعنى ، أو تغير في نظم القرآن ، فكانت هذه القراءات ثمرة تلك الرخصة ·

ولم تنعكس رخصة الأحرف السبعة على كتابة القرآن في المصاحف . فقد كان كتبة الوحي يتلقون القرآن من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويكتبونه على نطقه ، وكذلك جمع في خلافة الصديق مما كتب بين يدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان نسخ المصاحف في خلافة عثمان تثبيتاً للنص القرآني المتلقّى من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون ما أذن بـه في رخصة الأحرف السبعة[٢] ·

ولما كان خط المصحف آنذاك مجرداً من نقط الاعجام وعلامات الحركات فقد احتمل خطه أكثر من قراءة فكلمة (رضوان) مثلا ، لم تكن على الراء فيها علامة للحركة ، فاحتمل رسمها بذلك قراءة من قرأ بضم الراء ، وقراءة من قرأ بكسرها[٣] · وكذلك (غرفة بيده) ليس على حرف الغين حركة في المصاحف الأولى . فمن قرأها بالضم كانت قراءته موافقة للخط . ومن قرأها بالفتح كانت قراءته موافقة لخط المصحف أيضا[٤] · وهكذا كان تجرد خط المصحف من النقط والحركات عاملا في حفظ القراءات المروية. مما كان يقرأ به

---

(٢) أبو شامة : المرشد الوجيز ص١٤٤ ·
(٣) الداني : التيسير ص٨٦ ، وابن الجزري : النشر ٢/٢٣٨ ·
(٤) التيسير ص٨١ ، والنشر ٢/٢٣٠ ·

الصحابة قبل نسخ المصاحف ، في خلافة عثمان ، وتوزيعها على الأمصار[1] .

فالقراءات المروية في بعض كلمات القرآن وحروفه منقولة عن الصحابة الذين تعلموا القرآن من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم تكن هذه القراءات ناتجة عن كون الخط مجرداً من النقاط والحركات . لأن الأصل في القراءات هو التلقي الشفهي والنقل المباشر ، وقد ترك المسلمون من الصحابة والتابعين كل القراءات الخارجة عن خط المصاحف التي وزعت على الامصار في خلافة عثمان ، وقرؤوا بما يحتمله خطها فقط ، فكان تجرد الخط احدى وسائل حفظ القراءات التي يحتملها الخط ، مما نقل عن الصحابة أنهم قرأوا به .

---

(١) مكي : الابانة ص١٥ـ١٦ .

رواية القراءات وأشهر القراء

اشتهر جماعة من الصحابة الكرام الذين نزلوا الامصار الاسلامية أو مكثوا في بلاد الحجاز بتعليم الناس قراءة القرآن الكريم ، وكان هذا التعليم يتم ـ في غالب الأحوال ـ بأمر الخليفة وبتوجيهه ، ويشرف على ذلك الولاة في الامصار. فقد كتب يزيد بن أبي سفيان ـ أحد قادة الجيوش الاسلامية التي فتحت الشام ، وأحد ولاتها ـ الى عمر بن الخطاب ، أيام خلافته : إن أهل الشام قد كثروا وملأوا المدائن ،واحتاجوا الى من يعلمهم القرآن ، ويفهمهم في الدين ، فأعنّي يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم ، فوجه اليه عمر ثلاثة من كبار الصحابة ، هم : مُعاذ بن جبل ، وعُبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، فأقام عُبادة في حِمْص ، وأبو الدرداء في دمشق ، ومُعاذ في فلسطين ، فكانوا يعلمون الناس القرآن هناك طيلة حياتهم[٢] . وكان عبدالله بن مسعود يعلم الناس القرآن في الكوفة ، وكان أبو موسى الأشعري في البصرة ، كما كان زيد بن ثابت يعلم الناس القرآن في الحجاز[٣] .

فكان هؤلاء الصحابة ، وآخرون غيرهم ، يعلمون القرآن في المدن الاسلامية الكبرى . مكة والمدينة ودمشق والكوفة والبصرة وغيرها ، فأخذ عنهم القراءات جيل التابعين ، فنشأت في كل مدينة من تلك المدن مدرسة لتعليم القراءة ، أساتذتها كبار الصحابة ، وتلامذتها من نابهي التابعين .

---

(٢) ابن سعد : الطبقات ٢/٣٥٦ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٢/٢٤٢ .

(٣) أبو شامة : المرشد الوجيز ص١٤٩ .

وقد جاءت روايات كثيرة عن الصحابة والتابعين أنهم كانوا يقولون : (القراءة سنة ، يأخذها الآخر عن الأول) أي انها تؤخذ مشافهة ، وتنقل رواية ، ولا يجوز معها الرأي والاجتهاد[1] .

وعلى هذا النحو تلقى التابعون قراءة القرآن من الصحابة ، فكان من بينهم في كل مصر ومدينة عدد من القراء المشهورين الذين أخذ الناس عنهم القراءة ، وظهر في جيل تابعي التابعين من تَصدَّرَ لتعليم القراءة أيضا ، وهكذا تناقل المسلمون قراءات القرآن ، جيلا بعد جيل ، حتى وقتنا الحاضر .

أما التأليف في موضوع القراءات فقد ظهر في وقت مبكر ، ومن أشهر الكتب الأولى المؤلفة في هذا الموضوع كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) الذي ذكر فيه خمسة وعشرين قراءة[2] . ومنها كتاب اسماعيل بن اسحاق القاضي (ت٢٨٢هـ) ، الذي جمع فيه عشرين قراءة ، منها السبع المشهورة[3] . ومنها كتاب القراءات لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، الذي ذكر فيه نيفا وعشرين قراءة[4] . ثم ألّف أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ) ، كتابه المشهور الذي طبع باسم (كتاب السبعة في القراءات) ، واقتصر فيه على ذكر قراءة سبعة من أشهر قراء القرن الثاني الهجري ، الذين أخذوا القراءات عن التابعين ، والذين تلقّى الناس قراءاتهم بالرضى والقبول ، ونقلوها جيلا بعد جيل [5] .

---

(١) ابن مجاهد : كتاب السبعة في القراءات ص٤٩ـ٥٠ .
(٢) ابن الجزري : النشر ١/٣٤ .
(٣) المصدر نفسه ١/٣٤ .
(٤) المصدر نفسه ١/٣٤ .
(٥) ابن النديم : الفهرست ص٣١ ، وعلم الدين السخاوي : جمال القراء الورقة : ١٥٠ظ ، وأبو شامة ، المرشد الوجيز ص١٦٠ .

والقـراء السـبعة الذين اختارهـم ابن مجاهـد ، وأورد قراءاتهم في كتابه هم :

١ ـ نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم المدني (ت١٦٩هـ) ٠

٢ ـ عبدالله بن كثير المكي (ت ١٢٠ هـ) ٠

٣ ـ أبو عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ) ٠

٤ ـ عبدالله بن عامر الشامي (ت ١١٨ هـ) ٠

٥ ـ عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت ١٥٦ هـ) ٠

٦ ـ حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت ١٥٦ هـ) ٠

٧ ـ علي بن حمزة الكسائي،الكوفي ثم البغدادي(ت١٨٩هـ)

وقد اشتهرت قـراءات هؤلاء القـراء ، واقتصر الناس ـ بصورة عامة ـ على الاهتمام بها ، والفت بعد ابن مجـاهد كتب كثيرة تصف القراءات السبـع ، من أشهرها كتـاب (التيسير في القراءات السـبع) لأبـي عمـرو عثمان بـن سـعيد الدانـي (ت ٤٤٤ هـ) ، الذي نظمه القاسم بن فيره الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) في قصيدته اللامية المسماة (حِرْز الأماني ووجه التهاني) وقد شرحت هذه القصيدة شروحاً كثيرة ذائعة ٠

فهذا أصل ما يعرف بالقراءات السبع ، الى اليوم ، وقد وهم من ظن أن القراءات السبع هي المذكورة في الحديث الشريف (ان هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منه) فظن أن كل قراءة تقابل حرفا ، فهذا خلاف اجماع أهل العلم قاطبة ، وانما يظن ذلك بعض أهل الجهل[1] ٠

---

(١) أبو شامة : المرشد الوجيز ص١٤٦ ، والزركشي:البرهان ١/٣٣٢، والسيوطي : الاتقان ١/٢٢٣ ٠

وقد ذكرنا من قبل أقوال العلماء في معنى (الأحرف السبعة) الواردة في الحديث ، بما ليس له علاقة بهؤلاء القراء السبعة الذين عاشوا في القرن الثاني الهجري ، وأورد ابن مجاهد قراءاتهم في كتاب مستقل دون غيرهم من مشهوري القراء ، على رأس المائة الرابعة من الهجرة ، فما ورد في الحديث عن (الاحرف السبعة) انما يشير الى الرخصة والسعة التي اذن بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في القرآن ، أما (القراءات السبع) وكل ماعداها من قراءات،فهي أثر من آثار تلك الرخصة،وماتوافق عدد (السبعة) في الحديث الشريف وعدد القراء الذين اختار ابن مجاهد قراءاتهم إلا محض مصادفة .

القراءة الصحيحة والقراءة الشاذة

قراءة القرآن الكريم سنة ، يأخذها المتأخر عن المتقدم ، حتى تنتهي الى الصحابة الذين تلقوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولم يكن الأمر في نقل القراءة وروايتها متروكا لاجتهاد الناس ورغباتهم ، وانما كان يخضع لضوابط وشروط ، بها تتميز القراءة الصحيحة من غيرها ، كذلك لم يكن نقل القراءات يعتمد على الصحف ، أي على ماهو مكتوب في المصاحف ، دون الرواية والتلقي الشفهي لذلك المكتوب ، إذ «ان الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور ، لاعلى حفظ المصاحف والكتب»[1] •

رغم أهمية كتابة القرآن في المصاحف وأثرها في حفظ القرآن مصونا من الضياع أو النسيان •

وقد كان رسم الكلمات في المصاحف التي كتبت في خلافة عثمان ، من الصحف التي جمع القرآن فيها زيد بن ثابت في خلافة الصديق هي الأساس في تمييز القراءات المقبولة من غيرها ، لأنها مكتوبة على حسب نطق النبي صلى الله عليه وسلم • فكل ماوافق خط تلك المصاحف ، وصح نقلا ، داخل في القراءات الصحيحة المقبولة • وما خالف خط تلك المصاحف وصح نقلا يعدّ من القراءات الشاذة التي قرأ بها بعض الصحابة قبل جمع المسلمين في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ على مصحف واحد • أما ماوافق الخط من وجوه النطق ، ولم ينقل عن الصحابة فلا يعد قراءة ، ولا يجوز أن يقرأ به القرآن ، لان صحة النقل أول شروط القراءة المقبولة •

---

(١) ابن الجزري : النشر ١/٦ •

وبناء على ذلك حصر العلماء شروط القراءة الصحيحة في[1] :

١ ـ صحة النقل ، وثبوته عن الصحابة ، رضي الله عنهم ·
٢ ـ موافقة القراءة لخط المصاحف العثمانية ·
٣ ـ أن تكون القراءة قوية الوجه في العربية ·

وحين ألف ابن مجاهد كتاب (السبعة في القراءات) ألف معه كتابا آخر جمع فيه القراءات المروية عن غير السبعة ، كان يعرف باسم (كتاب شواذ القراءة)[2]·· ونتيجة لشهرة ابن مجاهد ومكانته في مجال القراءات، ولأنه اختار في كتابه الأول أشهر القراء الذين أخذوا قراءاتهم من كبار التابعين ، اعتقد بعضهم أن ماعدا السبع من القراءات أقل مرتبة من حيث السند والرواية ، ومن هنا غلب اطلاق لفظ الشذوذ على ما سوى قراءات الائمة السبعة ، حينا من الدهر ، وهو معنى جديد للقراءة الشاذة ، التي كانت تعني كل قراءة : صحت نقلا ، وخالفت خط المصحف ، أو كانت خارجة عن الكثير من كلام العرب ·

على أن العلماء الذين جاءوا بعد عصر ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) لم يحصروا القراءات الصحيحة المتواترة في السبع التي اختارها ، وانما أضافوا اليها قراءات أخرى، حتى صارت القراءات المشهورة المقبولة عند العلماء عشر قراءات، هي قراءات الائمة السبعة الذين سبق ذكرهم، وقراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت ١٣٠هـ)، استاذ نافع بن أبي نعيم ، وقراءة يعقوب بن اسحاق البصري (ت ٢٠٥ هـ) ، امام أهل البصرة في القراءة بعد أبي عمرو بن العلاء ، وقراءة خلف بن هشام البغدادي (ت ٢٢٩هـ) الذي روى قراءة حمزة بن حبيب الزيات ·

---

(١) ابن الجزري : النشر ١/ ٩ ·
(٢) ابن جني : المحتسب ١/ ٣٥ ·

وأشهر الكتب المؤلفة في وصف القراءات المشر هو كتاب (النشر في القراءات العشر) لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي ، الشهير بابن الجزري ، (ت ٨٣٣هـ) .

× × ×

أما القراءة التي نقرأ بها القرآن الكريم اليوم ، وتضبط عليها المصاحف المطبوعة ، في بلادنا وفي كثير من بلدان العالم الاسلامي ، فهي قراءة عاصم بن أبي النَّجود الكوفي ، أحد القراء السبعة ، وهو الذي انتهت اليه رياسة الاقراء بالكوفة ، بعد أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي (ت ٧٣هـ) الذي أرسله عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ الى الكوفة مع المصحف الذي بعثه اليها، وكان عاصم ممن اشتُهر بالعلم والفضل ، وجمع بين الفصاحة والاتقان والتحرير والتجويد ، وكان أحسن الناس صوتا في القرآن ، وقد أخذ عنه القراءة خلق لايحصون ، إلا أن حفص بن سليمان وأبا بكر بن عيّاش كانا أشهر تلامذة عاصم في القراءة . وكانت وفاة عاصم بالكوفة سنة ١٢٨هـ[١] .

وقراءة عاصم التي نقرأ بها القرآن هي من رواية تلميذه حفص بن سليمان بن المغيرة ، أبي عمر ، الكوفي ، الذي أخذ القراءة عرضا وتلقينا عن عاصم ، وكان ربيبه ابن زوجته ، قال الداني : وهو الذي أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة ، وقال يحيى بن معين : الرواية الصحيحة التي رويت عن قراءة عاصم هي رواية أبي عمر حفص بن سليمان وكانت ولادة حفص سنة ٩٠هـ ، ووفاته سنة ١٨٠هـ ، رضي الله عنه[٢] .

(١) أنظر ترجمة عاصم في كتاب غاية النهاية لابن الجزري ١/٣٤٦ ـ ٣٤٩ .

(٢) أنظر ترجمة حفص في غاية النهاية ١/٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

ومما ينبغي أن تعرفه ـ هنا ـ هو أن القراءات الصحيحة الثابتة ليس بعضها أولى من بعض بالقراءة والقبول ، فهي كلها مما قرأ به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلمه للصحابة . لكن الامة غير واجب عليها الاخذ بجميع القراءات ، فبأي القراءات قرأ المسلمون ، فقد قرأوا القرآن، إذ إن القراءات ماهي إلا الصور النطقية المتعددة لبعض ألفاظ القرآن ، وهي تتعلق باللفظ دون المعنى . وقد كانت القراءات رخصة يسر الله بها على المسلمين ـ وقت نزول القرآن ـ ليتوصلوا الى قراءته وتدبر معانيه ، وروى المسلمون تلك القراءات جيلا بعد جيل ، لايرون أن بعضها أولى من بعض ، لأنها كلها محتمل لأن يكون مما قرأ به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلمه للصحابة رضوان الله عليهم، ونقله المسلمون من بعدهم .

كذلك ينبغي أن تعرف أيضا أن الغاية من القراءة هو تدبر المعنى ومعرفة ما تتضمنه آيات القرآن التي نقرؤها من أحكام وعظات ، ولا شك في أن ضبط القراءة وعدم الوقوع في اللحن من الأمور الواجبة على قارىء القرآن ، اذ على المسلم أن يأخذ القراءة عن المعلم المتقن المجود ، لكن عليه بعد ذلك أن ينتفع بما عرفه وأتقن قراءته ، بالتدبر في معانيه ، والتفكر في مراميه ، فالله تعالى يقول : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب)[٢] .

(٢) سورة ص . الآية : ٢٩ .

وقد قال الامام أبو شامة في التحذير من ترك التدبر لمعاني القرآن ، والانشغال عن ذلك برنين الألفاظ : «لم يبق لمعظم من طلب القرآن العزيز همة إلا في حفظه ، وسرعة سرده ، وتحرير النطق بألفاظه ، والبحث عن مخارج حروفه ، والرغبة في حسن الصوت به ، وكل ذلك ، وان كان حسنا ، ولكن فوقه ماهو أهم منه ، وأتم وأولى وأحرى ، وهو فهم معانيه ، والتفكر فيه ، والعمل بمقتضاه ، والوقوف عند حدوده ..»[1] .

الفصل السادس

فواتح السور

وفيــه :

١ ـ فواتح السور القرآنية ٠

٢ ـ اقوال العلماء في معنى الحروف المقطعة ٠

فواتح السور القرآنية

يبدأ قسم من سور القرآن بالثناء على الله تعالى ، مثل : (الحمد لله ربِّ العالمين) ، وقسم" بالنداء ، مثل : (يا أيها الذين آمنوا) ، وقسم" افتتح بالجملة الخبرية ، مثل : (قد أفلح المؤمنون) ، وآخر بالقَسَم ، نحو : (والصافات) ، وقسم بالشرط نحو : (اذا وقعت الواقعة) ، وقسم بالأمر، نحو : (قل هو الله أحد)،وقسم بالاستفهام، نحو : (عم يتساءلون★عن النبأ العظيم) ، وقسم افتتح بالوعيد نحو (ويل للمطففين) ، وقسم من سور القرآن افتتح بحروف التهجي[1] .

والذي نريد أن نقف عنده في هذا الفصل هو السور التي افتتحت بحروف الهجاء المقطعة ، وما قال العلماء في معاني تلك الحروف .

في القرآن الكريم تسع وعشرون سورة تبدأ بحروف الهجاء المقطعة ، منها ثلاث سور تبدأ بحرف واحد ، وهي :

- سورة ص : (ص والقرآن ذي الذكر) .
- وسورة ق : (ق والقرآن المجيد) .
- وسورة ن : (ن والقلم وما يسطرون) .

ومنها عشر سور مفتتحة بحرفين ، سبع منها متماثلة ، وتسمى (الحواميم) ، لأن في أولها (حم) ، وهي :

- سورة غافر : (حم★تنزيل' الكتاب من الله العزيز العليم) .
- وسورة فُصِّلت : (حم★تنزيل" من الرحمن الرحيم) .
- وسورة الشورى التي ينضم فيها (عسق) الى (حم) : (حم★عسق★كذلك يوحي إليك والى الذين من قبلك الله' العزيز' الحكيم) .

---

(١) الزركشي : البرهان ١/١٦٤ ، والسيوطي : الاتقان ٣/٣١٦ .

ــ وسورة الزخرف : (حم★والكتاب المبين★إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) ٠

ــ وسورة الدخان : (حم★والكتاب المبين★إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين) ٠

ــ وسورة الجاثية : (حم★تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) ٠

ــ وسورة الاحقاف : (حم★تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) ٠

والسور الثلاث الاخرى المبدوءة بحرفين هي :

ــ سورة طه : (طه★ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى) ٠

وسورة النمل : (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) ٠

وسورة يس : (يس★والقرآن الحكيم★إنك لمن المرسلين) ٠

أما السور المؤلفة فواتحها من ثلاثة أحرف فتأتي في ثلاث عشرة سورة ، ست منها تبدأ بلفظ (الم) ، وهي :

سورة البقرة : (الم★ذلك الكتاب لا ريب فيه) ٠

وسورة آل عمران : (الم★الله لا اله إلا هو الحي القيوم) ٠

وسورة العنكبوت : (الم★أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) ٠

وسورة الروم : (الم★غلبت الروم في أدنى الأرض) ٠

وسورة لقمان : (الم★تلك آيات الكتاب الحكيم) ٠

وسورة السجدة : (الم★تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) ٠

وخمس سور منها تبدأ بلفظ (الر) ، وهي :

سورة يونس : (الر تلك آيات الكتاب الحكيم) ·

وسورة هود : (الر كتابٌ أُحكمت آياته ثم فُصِّلت من لدنْ حكيم خبير) ·

وسورة يوسف : (الر تلك آيات الكتاب المبين★إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) ·

وسورة إبراهيم : (الر كتابٌ أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد) ·

وسورة الحجر : (الر تلك آيات الكتاب وقرآنٍ مبين) ·

واثنتان منها تبدأ بلفظ (طسم) وهما :

سورة الشعراء : (طسم★تلك آيات الكتاب المبين) ·

وسورة القصص : (طسم★تلك آيات الكتاب المبين) ·

وهناك سورتان مفتتحتان بأربعة أحرف ، هما :

سورة الأعراف : (المص★كتابٌ أُنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين) ·

وسورة الرعد : (المر تلك آيات الكتاب والذي أُنزل اليك من ربك الحق ولكنَّ أكثر الناس لا يؤمنون) ·

وقد ذكرنا قبل قليل أن سورة الشورى مفتتحة بخمسة حروف، هكذا : (حم★عسق) ، وهناك سورة أُخرى معها تبدأ بخمسة حروف ، هي سورة مريم : (كهيعص★ذكرُ رحمةِ ربك عبده زكريا) ·

أقوال العلماء في معنى الحروف المقطعة

تلك السور التسع والعشرون مفتتحة بحروف مقطعة ، كما ترى ، وتلفظ على هذا النحو (ألفْ ، لامْ ، ميمْ) أو (طا ، سين ، ميم) ، وهكذا بقية الحروف .

وهذه الحروف الواردة في أوائل السور مجموعها أربعة عشر حرفا من حروف العربية وهي : (الالف ، واللام ، والميم ، والصاد ، والراء ، والكاف والهاء ، والياء ، والعين ، والطاء ، والسين ، والحاء ، والقاف ، والنون) ، أي إنها تؤلف نصف حروف العربية البالغة ثمانية وعشرين حرفاً .

لكن مامعنى هذه الحروف ؟ وعلى أي شيء تدل ؟ فهي آتية على غير ما اعتادت عليه العرب في كلامها ، فرغم أن الاكتفاء ببعض الكلمة عن ايرادها كلها وارد في العربية ، في مثل قول الشاعر :

قلت لها قِفِي ، قالت : قافْ

أي وقفت[1] .

لكن هذا ونحوه تدل على معناه القرينة الآتية في السياق ، وعلينا ونحن نبحث عن دلالة هذه الحروف المقطعة أنْ نعرف أنه لم ينقل في بيان معناها شيء عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يُروَ انه بيّنها للصحابة أو سئل عنها فأجاب موضحا معناها للسائل[2] .

وقد تباينت آراء العلماء في تحديد معنى هذه الحروف ؛ فمن قائل : إنه لا سبيل الى معرفة معانيها ، الى قائل : إنّ كلّ حرف منها يدل على معنى أو اسم . ويذهب في تحديد ذلك المعنى مذاهب شتى . ومن هذه الآراء :[3]

---

(١) السيوطي : الاتقان ٣/٢٣ .

(٢) الطبري : جامع البيان ١/٩٤ .

(٣) الطبري : جامع البيان ١/٨٦ـ٨٩ ، والزجاج : معاني القرآن واعرابه ١/١٨ ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١/١٥٤ . والسيوطي : الاتقان ٣/٢١ .

١ ـ أنّ تلك الحروف أسماء للقرآن ·

٢ ـ أنها أسماء للسور ·

٣ ـ أنها قَسَم أقسم الله به ·

٤ ـ ذهب بعض علماء العربية الى أن هذه الحروف استغني بذكرها عن ذكر بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفا ، لتدل على أن هذا القرآن مؤلف من حروف العربية التي منها كلام العرب ، ليكون عجزهم عن القرآن أبلغ حجة عليهم ·

٥ ـ أنها فواتح يفتتح الله بها القرآن ·

٦ ـ أنها سرّ لايمكن الوصول الى حقيقة معناه ، وأنها من المتشابه الذي أُمرنا أن نؤمن به كما أُنزل ، كما بينت الآية الكريمة : (هو الذي أنزل عليك الكتاب ، منه آيات مُحكمات هنّ أم الكتاب ، وأُخر متشابهات . فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله،وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، ومايذكر إلا أُولو الالباب)(١) ·

جاء في تفسير القرطبي : قال عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدّثين : هي سرّ الله في القرآن ، فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه ، ولا يجب أن يتكلم فيها ، ولكن نؤمن بها ، ونقرأها كما جاءت ، وقال أبو حاتم : لم نجد الحروف المقطعة في القرآن الا في أوائل السور ، ولا ندري ماأراد الله ـ جل وعز ـ بها ·

---

(١) سورة آل عمران · الآية : ٧

ومهما قال العلماء والمفسرون في معنى الحروف المقطعة فانه لا يمكن القطع على أحد تلك الاقوال بأنه هو المقصود معناه دون غيره ، لانه لم يرد نص يبينها عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولا ، ولانه ما من قول سيق لبيان معناها الا ويمكن القول فيه إنه ليس أولى من غيره بالاعتبار ثانيا ٠

لكن هناك أمورا جديرة بالملاحظة عند البحث في معاني هذه الحروف ٠

منها : أن معظم السور المفتتحة بالحروف المقطعة مكية النزول، الا البقرة وآل عمران ٠

ثم إن مايرد بعد تلك الحروف في السور المفتتحة بها هو ذكر القرآن الكريم ، أو ذكر بعض ما يتعلق بـه ، الا في « المنكبوت » « والروم » ٠

الفصل السابع

علم أسباب النزول

وفيـه :

١ ـ بيان معنى أسباب النزول ٠

٢ ـ أهمية معرفة أسباب النزول ٠

٣ ـ عموم اللفظ وخصوص السبب ٠

٤ ـ الطريق الى معرفة أسباب النزول ٠

معنى أسباب النزول

لم يكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يملك اختيار الوقت الذي ينزل فيه القرآن عليه ، فذلك أمر مرتبط بمشيئة الله تعالى ، وما على الرسول الا التلقي الواعي والتبليغ للناس ، فكان القرآن ينزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في النهار أو في الليل ، في السفر أو في الحضر ، قاعدا أو قائما ، ماشيا أو راكبا ، دون أن يكون له في ذلك أي اختيار .

على أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يُسْأَل من المسلمين أو من غيرهم ، فربما أجاب من فوره ، وربما انتظر نزول جبريل بالقرآن ، مبيِّناً الجواب ، أو كاشفا عن الحكم ، تأمل هذه الآيات الكريمة :

ـ (يسألونك عن الأهلة ، قل : هي مواقيت للناس والحج)[1] .

ـ (يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل : ما أنفقتم من خير فللوالدين ...)[2] .

ـ (يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ قل : انما علمها عند ربي)[3] .

ـ (يسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ...)[4]

تحس أن هذه الآيات ارتبط نزولها بسؤال ، وربما ارتبط نزول

---

(١) سورة البقرة . الآية : ١٨٧ .
(٢) سورة البقرة . الآية : ٢١٠ .
(٣) سورة الأعراف . الآية : ١٨٧ .
(٤) سورة الاسراء . الآية : ٨٥ .

بعض الآيات أو السور بحادثة أو مشكلة تقع بين المسلمين أو مع غيرهم .

ومن هنا قسم العلماء آيات القرآن بالنسبة الى ارتباط نزولها بسؤال أو حادثة الى قسمين :

- قسم نزل ابتداء .
- وقسم نزل عقب حادثة أو سؤال .

ويلاحظ أن القسم الاول ، الذي نزل ابتداء ، تتحدث أكثر آياته عن أمور العقيدة ، ووصف مشاهد القيامة ، ووصف الجنة ونعيمها . والنار وأهوالها ، وكذلك تتحدث عن ذكر الامم الغابرة وما حل بأهلها .

أما القسم الثاني ، وهو ما نزل مرتبطا بأسباب ووقائع ، فمعظم آياته مما يتعلق بالتشريع والاحكام والاخلاق[1] .

وقد عبر السلف من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من العلماء والدارسين عن ذلك السؤال أو تلك الواقعة التي تنزل عقبها الآية أو الآيات بعبارة (بشبب النزول) ، فيقولون (نزلت هذه الآية بسبب كذا) ، وهذه الاسباب ، في الواقع «ماهي الامناسبات ، لا أسباب حقيقية ، وان سميت أسبابا على طريق التسامح والتجوّز[2] .

وفي ارتباط نزول بعض الآيات بمناسبة معينة ، وهو مانسميه بأسباب النزول ، حكمة تشريعية وتربوية عظيمة ، تجعل من الحكم

(١) محمد سعيد رمضان البوطي : من روائع القرآن ص٣٣ .
(٢) محمد الفاضل بن عاشور : التفسير ورجاله ص٢٠ .

الذي تتضمنه الآية تجربة واقعية ، وتطبيقا عمليا في المجتمع ، يتم تحت نظر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوجيهه ، ويحس بحكمة التشريع الذي تتضمنه الآية كل من كان شاهدا وقت نزولها، وكل من وقف على تلك المناسبة وعرف قصتها ، فنزول الحكم وقت الحاجة اليه يكون أبعد أثرا في نفوس المخاطبين ، ويكونون أكثر استجابة له[٣] .

أهمية معرفة أسباب النزول

للوقوف على سبب نزول الآية ومناسبتها فائدة كبيرة في تيسير فهم معناها ومعرفة ما فيها من تشريع ، وقد أكد العلماء أهمية وقوف مفسر القرآن على مناسبة النزول «لامتناع معرفة الآية وقصد سبيلها ، من غير الوقوف على قصتها وبيان نزولها» ، كما يقول الواحدي[٤] .

وقال ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) : بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن[٥] . وقال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) : معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب[٦] .

وقد تبادر لبعض من تلا هذه الآية الكريمة (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ، اذا ما اتقو وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، والله

---

(٣) البوطي : من روائع القرآن ص٣٤،ومناع القطان : مباحث في علوم القرآن ص٩٠ .

(٤) أسباب النزول ص٥ .

(٥) السيوطي : الاتقان ٨٣/١ .

(٦) ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير ص٤٧ ، ونقله السيوطي في الاتقان ٨٣/١ .

يحب المحسنين)[٣] . تبادر الى ذهنه أن من توفر له ماذكرته الآية من صفات الايمان والعمل والتقوى والاحسان جاز له أن يأكل مايشاء، ويشرب مايشاء، حتى ولو كان ذلك محرما بنص الكتاب[٤].

لكن الوقوف على مناسبة نزول هذه الآية يوقفنا على حقيقة معناها ، ومن يشمله حكمها ، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما أنه لما نزل تحريم الخمر قال بعض الصحابة : كيف لاصحابنا الذين ماتوا وكانوا يشربونها ؟ ـ قبل نزول التحريم طبعا ـ فنزلت هذه الآية (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ...)[٥] . وقد جاءت هذه الآية في المصحف بعد آيات تحريم الخمر مباشرة ، في سورة المائدة (الآيتان ٩٠ـ٩٢) .

---

(٣) سورة المائدة . الآية : ٣ .
(٤) الزركشي : البرهان ١/٢٨ ، والسيوطي : الاتقان ١/٨٣ .
(٥) ابن حجر: فتح الباري ٨/٢٧٨، والواحدي: أسباب النزول ص٢٠٣ .

عموم اللفظ وخصوص السبب

ذهب جمهور العلماء الى أن حكم الآية التي تنزل بسبب سؤال من شخص معين ، أو عقب حادثة تتعلق بشخص معين ، يشمل الحالات المشابهة التي تنطبق على حالة مَن نزلت الآية بسببه ، وهو مايعبرون عنه بعبارة (الاخذ بعموم اللفظ،لابخصوص السبب)[1]

وقد بين ابن تيمية هذا الموضوع بقوله : (وقد يجيء كثيرا من هذا الباب قولهم : هذه الآية نزلت في كذا ، لاسيما ان كان المذكور شخصا ،كأسباب النزول المذكورة في التفسير ، كقولهم : إن آية الظهار نزلت في امرأة ثابت بن شماس ، وان آية اللعان نزلت في عويمر العجلاني ، أو هلال بن أُمية ، وان آية الكلالة نزلت في جابر بن عبدالله ، وان قوله تعالى : «وأنِ احكم بينهم بما أنزل الله»[2] نزلت في بني قريظة والنضير ، وان قوله «ومن يولّهم يومئذ دُبُره»[3] نزلت في بدر ... ونظائر هذا كثير ، مما يذكرون أنه نزل في قوم من المشركين بمكة ، أو في قوم من أهل الكتاب ، اليهود والنصارى ، أو في قوم من المؤمنين . فالذين قالوا لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأُولئك الاعيان دون غيرهم ، فان هذا لا يقوله مسلم ، ولا عاقل على الاطلاق !

والناس وان تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب ، هل يختص بسببه ، فلم يقل أحد من علماء المسلمين إن عمومات الكتاب

---

(١) الزركشي : البرهان ٣٢/١ ، والسيوطي : الاتقان ٨٥/١ .
(٢) سورة المائدة . الآية : ٤٩ .
(٣) سورة الأنفال . الآية : ١٦ .

والسنة تختص بالشخص المعين ، وانما غاية مايقال : انها تختص بنوع ذلك الشخص فتعم ما يشبهه ... والآية التي لها سبب معين وان كانت أمرا أو نهيا فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته ، وان كان خبرا بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته) .

وقد قال الطبري بعد أنْ تحدث عن سبب نزول قوله تعالى : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأُخر متشابهات ...)[1] .

قال : (وهذه الآية وان كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك ، فانه مَعْنِيٌّ بها كل مبتدع في دين الله بدعة ، فمال قلبه اليها ، تأويلا منه لبعض متشابه آي القرآن)[2] .

---

(١) سورة آل عمران . الآية : ٧ .
(٢) جامع البيان ٣/١٨١ .

الطريق الى معرفة أسباب النزول

ولمعرفة سبب نزول الآية او مناسبتها طريق واحد ، وهو النقل الصحيح عن الصحابة الذين عاصروا تنزيل القرآن ، وشاهدوا الاحداث التي وقعت حينذاك ، ووعوها ، يقول الواحدي ، «ولايحل القول في أسباب نزول الكتاب الا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ، ووقفوا على الاسباب ، وبحثوا في علمها وجدّوا في الطلاب»[٢] .

والروايات المنقولة في بيان سبب النزول يصرح في بعضها بأن الآية نزلت بسبب كذا ، ويأتي بعضها بصيغة (ان هذه الاية نزلت في كذا) قال ابن تيمية : «وقولهم : نزلت هذه الاية في كذا ، يراد به تارة أنه سبب النزول ، ويراد به تارة أن هذا داخل في الآية،وان لم يكن السبب،كما تقول : عني بهذه الآية كذا»[٣].

فقول مجاهد ــ مثلا ــ في الآيات التي في أول سورة البقرة : «أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين ، وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين ، وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين»[٤] ليس بيانا لسبب النزول ، وانما هو توضيح للمعنى ، يدل على ذلك قول سفيان الثوري : (نزلت أربع آيات في أول البقرة في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين)[٥] .

---

(٢) أسباب النزول ص٥ .
(٣) مقدمة في أصول التفسير ص٤٨ ، ونقله السيوطي في الاتقان ١/٨٩ .
(٤) الواحدي : أسباب النزول ص٩ .
(٥) سفيان الثوري : تفسير القرآن العظيم ص١ .

وقد نقل المحدثون في كتبهم والمفسرون في تفاسيرهم الروايات والاخبار التي تبين سبب نزول الآيات ، ولكن لم تصنف في كتاب مستقل قبل الامام علي بن عبدالله بن المدينى (ت ٢٣٤هـ) شيخ البخاري ، فهو أول من صنف في هذا العلم[١] .

ومن أشهر الكتب المؤلفة في هذا الموضوع كتاب (أسباب النزول) لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ) ، وللسيوطى (ت ٩١١هـ) كتاب في أسباب النزول سماه (لباب النقول في أسباب النزول)[٢] .

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ١/٧٦ .
(٢) السيوطي : الاتقان ١/٨٢ .

الفصل الثامن

علم الناسخ والمنسوخ

وفيـه :

١ ـ تعريف النسخ وبيان أهمية معرفته .

٢ ـ حكم الآيات المنسوخة .

٣ ـ الفرق بين النسخ والبَداء .

٤ ـ الطريق الى معرفة الناسخ والمنسوخ .

٥ ـ ما يجوز أن يقع فيه النسخ .

٦ ـ من أمثلة النسخ .

تعريف النسخ وبيان أهمية معرفته

القرآن الكريم لم ينزل كله مرة واحدة ، بل أُنزل مفرقا ، على مدى سنين كثيرة ، وقد لاحظنا من قبل أن في ذلك التنزيل المفرق للقرآن حكمة تربوية عملية ، وهي اعداد النفوس المؤمنة حتى تتلقى الاحكام الشرعية بالتسليم والرضا ، فكان حال المؤمنين كما قال إلله تعالى : (انما كان قول المؤمنين اذا دُعُوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأُولئك هم المفلحون)[1] .

وكان من تلك الحكمة أنّ الله تعالى ـ رحمة منه بالناس ـ تدرّج بهم في تطبيق بعض الاحكام ، خاصة تلك التي أخذت شكل عادات شعورية في المجتمع ، فكان تحريم بعض مظاهر الانحراف الأخلاقي والاجتماعي قد تم في مرحلتين أو ثلاث ، والقرآن الكريم يوجه المسلمين وينقلهم بتمهل الى الحكم الأخير في ذلك .

وتغيير الأحكام الشرعية على ذلك النحو يسمى النسخ، وتسمّى الآية التي تتضمن حكما قد تغير منسوخة ، والآية التي تتضمن حكما غَيَّرَ حكماً آخر في آية أُخرى تسمى آية ناسخة .

والنسخ في أصل اللغة يطلق على معنيين[2] :

الأول : الازالة ، تقول العرب : نسخت الشمسُ الظلَّ ، أي أزالته وحلت محله .

---

(١) سورة النور . الآية : ٥١ .
(٢) أنظر مادة (نسخ) في لسان العرب .

والثاني : نقل الشيء من مكان الى مكان ، من غير تغيير فيه ، ومنه نسخ الكتب ، وهو أن تكتب كتابا عن كتاب حرفا بحرف ٠

وتعريف النسخ في الشريعة ، في القول المختار ، هو : (رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه)(٣) ٠ وهذا المعنى الشرعي يتصل بالمعنى اللغوي الأول للنسخ(٤) ٠

والنسخ من الأمور التي يسَّرَ الله بها على المؤمنين ــ وقت تنزيل القرآن ــ في تطبيق الأحكام ، وقد قال سبحانه وتعالى (ماننْسَخْ من آية أو نُنسِها نأتِ بخير منها أو مثلها ، الم تعلم أن الله على كل شيء قدير)(٥) ٠ فهذه الآية تبين بيانا حاسما في شأن النسخ ، فالتعديل الجزئي وَفق مقتضيات الأحوال ــ في فترة الرسالة ــ هو لصالح البشرية ، ولتحقيق خير أكبر تقتضيه أطوار حياتها ، والله تعالى خالق الناس ، ومرسل الرسل ، ومنزلُ الآيات ، هو الذي يقدر هذا ، وهو الذي يختار الأحسن لعباده ، ويعلم مايصلح لهم في كل موقف ، قال الله تعالى : (واذا بَدَّلْنا آية مكانَ آيةٍ ، واللهُ أعلمُ بما يُنَزِّلُهُ ، قالوا : إنما أنت مفترٍ ، بل أكثرُهُمْ لايعلمون★قل نزَّلَه روح القُدُس من ربك بالحق ، ليُثَبِّتَ الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين)(٦) ٠

---

(٣) مصطفى زيد : النسخ في القرآن الكريم ١/١٠٥ وعبدالكريم زيدان ٠ الوجيز في أصول الفقه ص٣٢٩ ٠
(٤) مكي بن أبي طالب : الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٤٣ ٠
(٥) سورة البقرة ٠ الآية : ١٠٦ ٠
(٦) سورة النحل ٠ الآيات : ١٠١ــ١٠٢ ٠

حكم الآيات المنسوخة

وما نسخ من القرآن الكريم من آيات حكمه في التلاوة حكم الآيات غير المنسوخة . فهو مثبت في المصاحف متلو على الألسنة . فالآية الناسخة والآية المنسوخة كلها كلام الله سبحانه . واجب على العباد أن يؤمنوا به أنه حق ، وأنه من القرآن . وأنه ليس هناك من فرق بين الآية الناسخة والآية المنسوخة سوى أن الثانية سقط حكمها . لكن نصها ثابت يُتلى مثل سائر القرآن .

الفرق بين النسخ والبداء

والنسخ في القرآن ليس نوعا من البداء الذي هو : استصواب شيء عُلم بعد أن كان غير معلوم ؛ لأن ذلك على الله غير جائز[1] . فالله سبحانه هو القائل (واذا بدلنا آية مكان آية ، والله أعلم بما يُنَزِّل ...) فالله يعلم أن المنسوخ سوف يكون منسوخا ، قبل نزول الناسخ ، لحكمة يعلمها ، وهو الذي (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) ، وهو القائل (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم ، الا في كتاب ، من قبل أن نبرأها) .

فالفرق بين النسخ والبداء هو أن النسخ معلوم عند الله تعالى، وليس الأمر أن الله تعالى ينزّل الآية أو الحكم ، ثم ينظر بعد ذلك هل ينسخه أو يقره . فهذا لا يجوز بحق الخالق سبحانه ، بل إنّ الله ينزل الآيات ويعلم ماسينسخ منها ، ويعلم الآيات الناسخة لها، حتى قبل أن ينزل القرآن .

أما البَدَاء فهو أمر خاص بالبشر ، ذلك أن الانسان قد يرى اليوم رأيا ، ثم يبدو له ويتضح أن ذلك الرأي غير صواب . فيرجع عنه ، وهو حين اعتقد ذلك الرأي أولا ، كان يتصور أنه هو الحق الذي لا حق غيره ، فاذا الامر يتكشف له بعد ذلك على غير ماأعتقد، وهذا خاص بالبشر لقصور العقل البشري عن الاحاطة أو العلم بما سيقع .

---

(١) لسان العرب : مادة «بداء» .

الطريق الى معرفة الناسخ والمنسوخ

ومعرفة الناسخ والمنسوخ تتوقف على النقل الصحيح عن الصحابة ، فالنسخ سوف يقع مستقبلا ، فهو محدد بالزمان والمكان، وعلم الله مطلق ، فالنسخ انتهى وقوعه بوفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانتهاء نزول القرآن ، ولا يقع النسخ في أحكام الشريعة بعد ذلك . قال ابن الحصار علي بن محمد الاشبيلي (ت ٦١١هـ) عن ذلك :(٢) «انما يرجع في النسخ الى نقل صريح من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو عن صحابي يقول : آية كذا نسخت كذا • وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به ، من علم التاريخ ، ليعرف المتقدم والمتأخر ، ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين . بل ولا اجتهاد المجتهدين ، من غير نقل صحيح ، ولا معارضة بَيِّنَة لان النسخ يتضمن رفع حكم واثبات حكم تقرر في عهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمعتمد فيه النقل الصحيح والتاريخ دون الرأي والاجتهاد» •

(٢) السيوطي : الاتقان ٣/ ٦٠ •

ما يجوز أن يقع فيه النسخ

والنسخ لايجوز أن يقع الا في الاحكام ، في الامر والنهي والحدود والعقوبات في أحكام الدنيا[1] . أما الاخبار بما كان أو بما يكون فلا يجوز أن يقع فيه النسخ[2] .

فالنسخ لايقع في الأمور الاعتقادية التي ينبني عليها الايمان، مثل توحيد الله تعالى ، وأسماء الله وصفاته الحسنى . ولا يقع النسخ أيضا فيما أخبرنا الله تعالى به في القرآن أنه وقع ، من أخبار آدم وأخبار الأنبياء والامم الماضية . أو أنه سيقع من قيام الساعة وبعث الناس ، وحسابهم ، ثم الجزاء بالجنة أو النار ، هذه أمور لا يتطرق اليها نسخ ، وهي واقعة كما أخبرنا الله تعالى بها ، ما وقع منها وما سوف يقع ، لكن النسخ وقع في أحكام الشريعة التي تتضمن أمرا أو نهيا ، بحسب تقدير الله تعالى ، وما جرى في علمه من المصلحة في ذلك للمؤمنين[3] .

---

(١) الحارث المحاسبي : فهم القرآن ص٣٥٩ .
(٢) النحاس : الناسخ والمنسوخ ص٢٥٨ .
(٣) النحاس : الناسخ والمنسوخ ص٢٥٨ ، والحارث المحاسبي : فهم القرآن ص٣٣٢،ومكي : الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٥٦ .

من أمثلة النسخ

وموضوع النسخ في الشريعة الاسلامية عامة ، والنسخ في القرآن خاصة ، حظي بجهود كبيرة من علماء المسلمين ، فكتبوا في الموضوع الكتب الكثيرة التي بينوا فيها معنى النسخ ، وأحكامه ، والآيات المنسوخة والناسخة ، وما اختلف فيه العلماء هل هو منسوخ أو لا ؟ تبعا لاختلافهم في تعريف النسخ ، ويكفيك هنا أن تتعرف على نموذج واحد من موضوع النسخ في القرآن ، لكي تتضح لك الحكمة التي تحققت نتيجة هذه الظاهرة ، وما كان في ذلك من المصلحة للمسلمين ٠

كان شرب الخمر من عادات العرب قبل الاسلام ، لكن هذه العادة ضارة للانسان فردا وجماعة ، وهي شرٌ ومفتاح لكل شر ، بل هي أم الخبائث ، فشاء الله أن يقتلع هذه العادة من نفوس المؤمنين ٠ والأمر أو النهي عندما يتعلق بقاعدة من قواعد التصور الايماني ، أي بمسألة اعتقادية فان الاسلام يقضي فيها قضاءً حاسما منذ اللحظة الاولى ٠ ولكن عندما يتعلق الأمر أو النهي بعادة وتقليد أو بوضع اجتماعي معقد ، فان الاسلام يتريث به ويأخذ المسألة باليسر والرفق والتدرج ، ويهيىء الظروف الواقعية التي تيسر التنفيذ والطاعة ٠

وقد كان الأمرُ في الخمر ، وكذلك في الميسرِ ، أمرَ عادة وإلف ، والعادة تحتاج الى علاج ، فبدأ القرآن بتحريك الوجدان الديني والمنطق التشريعي في نفوس المسلمين ، بأن الاثم في الخمر والميسر أكبر من النفع ، وفي هذا ايحاء بان تركهما هو

الاولى ، قال الله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما)[1] .

ثم جاءت الخطوة الثانية بنزول آية سورة النساء ، وهي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى ، حتى تعلموا ما تقولون)[2] .

والصلاة في خمسة أوقات معظمها متقارب ، لايكفي مابينها للسكر والافاقة ، وفي هذا تضييق لفرص تعاطي الخمر ، وكسر لعادة الادمان عليها .

حتى اذا تمت هاتان الخطوتان ونفرت نفوس المسلمين من الخمر ، جاء النهي الحازم الاخير بتحريم الخمر والميسر وغيرهما في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ، لعلكم تفلحون★انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة.فهل أنتم منتهون)[3].

وهكذا نسخت آيات سورة المائدة حكم الآيات السابقة في الخمر ، فحرمت الخمر ، وانتهت تلك العادة في المجتمع المسلم ، ولا يمكن لأحد أن يحتج بآية سورة النساء على جواز شرب الخمر

---

(١) سورة البقرة . الآية : ٢١٩ .
(٢) سورة النساء . الآية : ٤٣ .
(٣) سورة المائدة . الآيتان : ٩٠ـ٩١ .

في غير أوقات الصلاة لأنها منسوخة بآية المائدة التي حرمت شرب الخمر تحريما مطلقا[٢] . وعندما سمع المسلمون (فهل أنتم منتهون ؟) قال من كان يشربها منهم : انتهينا[٣] .

وهكذا أتى المنهج الرباني في تهذيب النفوس وبناء العقيدة الى هذه النتيجة الباهرة في اقتلاع عادة شرب الخمر من نفوس المؤمنين ، وتخليص المجتمع من شرورها .

(٢) النحاس : الناسخ والمنسوخ ص٣٩ و١٠٧ .
(٣) الطبري : جامع البيان ٣٣/٧ .

المصادر

١ ـ أحمد بن حنبل : المسند ، ط٣ ، دار المعارف بمصر ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م ٠

٢ ـ الانباري (أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار) : ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ، دمشق ١٩٧١م ٠

٣ ـ البخاري (أبوُ عبدالله محمد بن اسماعيل) : الجامع الصحيح، مطابع الشعب : القاهرة ١٣٧٨هـ ٠

٤ ـ البلاذري (أحمد بن يحيى) : فتوح البلدان ، ط١ ، شركة طبع الكتب العربية ، القاهرة ١٩٠١م ٠

٥ ـ البنا الدمياطي (أحمد بن محمد) ، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، مطبعة عبدالحميد أحمد حنفي ، مصر ١٣٥٩هـ ٠

٦ ـ ابن تيمية (أحمد بن عبدالحليم) : مقدمة في أُصول التفسير ، ط٢ ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٢هـ ـ١٩٧٢م ٠

٧ ـ ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد) : غاية النهاية في طبقات القراء ، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٣٢م ٠

٨ ـ ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، مطبعة مصطفى محمد بمصر (د ٠ ت) ٠

٩ ـ ابن جني (أبو الفتح عثمان) : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٦م ٠

١٠ـ الجهشياري (محمد بن عبدوس):الوزراء والكتاب ٠ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٨م ٠

١١ـ الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء السابع ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٠م ٠

١٢ـ الدكتور جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الثامن ، ط١ ، بيروت ١٩٧١م ٠

١٣ـ حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله) : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، وكالة المعارف الجليلة ، استانبول ١٩٤١ ـ ١٩٤٣م ٠

١٤ـ الحارث بن أسد المحاسبي ٠ فهم القرآن ومعانيه ، (مطبوع مع كتاب : العقل له) ، ط١ ، بيروت ١٩٧١م ٠

١٥ـ الحاكم (أبو عبدالله محمد بن عبدالله) : المستدرك على الصحيحين في الحديث ٠ ط١،حيدر آباد ١٣٣٤ـ١٣٣٥هـ ٠

١٦ـ ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ ٠

١٧ـ حمزة بن الحسن الأصفهاني : التنبيه على حدوث التصحيف : دمشق ١٩٦٨م ٠

١٨ـ الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي) : تاريخ بغداد، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، والمكتبة العربية ببغداد ١٩٣١م ٠

١٩ـ الخطيب البغدادي : تقييد العلم ، دمشق ١٩٤٩م ٠

٢٠ـ خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط : دمشق ١٩٦٧م ٠

٢١ـ الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد) : البيان في عدّ اي القرآن (مخطوط) مكتبة الجامع الأزهر ، قراءات (٢٧٢) ٧٩ ٢٢٢ ٠

٢٢ـ الداني : التيسير في القراءات السبع ، استانبول ١٩٣٠م ٠

٢٣ـ الداني : المحكم في نقط المصاحف ، دمشق ١٩٦٠م .

٢٤ـ ألداني : المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الامصار ، دمشق ١٩٤٠م .

٢٥ـ ابن أبي داوود (أبو بكر عبدالله بن سليمان) : كتاب المصاحف ، ط١ ، القاهرة ١٩٣٦م .

٢٦ـ الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد) : سير أعلام النبلاء ، القاهرة ١٩٥٧م .

٢٧ـ الرازي (محمد بن عمر) : التفسير الكبير ط٢ ، دار الكتب العلمية ، طهران (د . ت) .

٢٨ـ الزجاج (أبو اسحاق ابراهيم بن السري) : معاني القرآن واعرابة . المكتبة العصرية بيروت ـ صيدا ١٩٧٣م .

٢٩ـ الزركشي (بدرالدين محمد بن عبدالله) : البرهان في علوم القرآن ، ط٢ القاهرة ١٩٧٢م .

٣٠ـ الساعاتي (أحمد بن عبدالرحمن البنا) : الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني ، ط١ ، القاهرة ١٣٧٤هـ .

٣١ـ السخاوي (علم الدين أبو الحسن علي بن محمد) : جمال القراء وكمال الاقراء (مخطوط) ، دار الكتب المصرية (٩م قراءات) .

٣٢ـ ابن سعد (أبو عبدالله بن محمد) : الطبقات الكبرى ، بيروت ١٩٥٧م .

٣٣ـ سفيان الثوري (أبو عبدالله سفيان بن سعيد) : تفسير القرآن العظيم رامبور ، الهند ١٩٦٥م .

٣٤ـ سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان) : الكتاب ، طبعة بولاق ١٣١٧هـ ٠

٣٥ـ السيوطي (جلال‌الدين عبدالرحمن بن أبي بكر) : الاتقان في علوم القرآن ، ط١ ، القاهرة ١٩٦٧م ٠

٣٦ـ أبو شامة (عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي) : المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز : بيروت ١٩٧٥م ٠

٣٧ـ ابن أبي شيبة (أبو بكر عبدالله بن محمد) : الكتاب المصنف في الاحاديث والآثار ، ط١ ، حيدر آباد الدكن ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ٠

٣٨ـ الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى) : أدب الكتاب ، القاهرة ١٣٤١م ٠

٣٩ـ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : تأريخ الرسل والملوك، الطبعة الأوربية ٠

٤٠ـ الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط٢ ، مطبعة الحلبي القاهرة ١٩٥٤م ٠

٤١ـ ابن عبدالبر (أبو عمر يوسف بن عبدالله) : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٠ القاهرة ١٩٦٠م ٠

٤٢ـ ابن عبد ربه (أحمد بن محمد) : العقد الفريد ، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م ٠

٤٣ـ عبدالرزاق بن همام الصنعاني : المصنف ، ج٣ ، ط١ ، بيروت ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م ٠

٤٤ـ الدكتور عبدالكريم زيدان : الوجيز في أصول الفقه ، ط٥ ، بغداد ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ٠

٤٥ـ أبو عبيد (القاسم بن سلام) : فضائل القرآن ومصالحه وأدبه (مخطوط مصور) دار الكتب المصرية (٢٠١٠١ ب) .

٤٦ـ العسكري (أبو أحمد الحسن بن عبدالله) : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ط١ ، القاهرة ١٩٦٣م .

٤٧ـ علي الطنطاوي : من نفحات الحرم ، ط١ ، دمشق ١٩٦٠ .

٤٨ـ العيني (بدرالدين أبو محمد محمود بن أحمد) : عمدة القارىء شرح صحيح البخاري ، الطباعة المنيرية .

٤٩ـ ابن فارس (أحمد بن الحسين) : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، القاهرة ١٩١٠م .

٥٠ـ ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم) :تأويل مشكل القرآن: القاهرة ١٩٥٢م .

٥١ـ القرطبى (محمد بن أحمد) : الجامع لاحكام القرآن ط٢، القاهرة ١٩٥٢م .

٥٢ـ ابن قيم الجوزية (أبو عبدالله محمد بن بكر) : زاد المعاد في هدي خير العباد ط١ ، القاهرة ١٩٢٨م .

٥٣ـ الكرماني (محمد بن يوسف) : شرح صحيح البخاري ، مطبعة عبدالرحمن محمد ، القاهرة (د.ت) .

٥٤ـ مالك بن أنس : الموطا ، دار الشعب بمصر (د.ت) .

٥٥ـ ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى) : كتاب السبعة في القراءات القاهرة ١٩٧٢م .

٥٦ـ الدكتور محمد حسين هيكل : الصديق أبو بكر ، ط٥ ، القاهرة ١٩٦٤م .

٥٧ـ محمد حسين هيكل : في منزل الوحي ، ط٤ ، القاهرة ١٩٦٧م .

٥٨ـ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : من روائع القرآن ط٢ دمشق ١٩٧٠م .

٥٩ـ محمد طاهر الكردي : تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ط١ ، جده ١٩٤٦م .

٦٠ـ الدكتور محمد عبدالله دراز : مدخل الى القرآن الكريم،ط١، الكويت ١٩٧١م .

٦١ـ الدكتور محمد عبدالله دراز : النبأ العظيم ط٢ الكويت ١٩٧٠ .

٦٢ـ محمد الفاضل بن عاشور : التفسير ورجاله ط٢ ، تونس ١٩٧٢م .

٦٣ـ مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج) : الجامع الصحيح ، القاهرة .

٦٤ـ الدكتور مصطفى زيد : النسخ في القرآن الكريم ط١ ، القاهرة ١٩٦٣ ،

٦٥ـ مصطفى محمود : من أسرار القرآن ، دار المعارف مصر ١٩٧٧م .

٦٦ـ مكي بن أبي طالب القيسى : الابانة عن معانى القراءات ، القاهرة ١٩٦٠م .

٦٧ـ مكي بن أبي طالب القيسي : الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، الرياض ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .

٦٨ـ مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ط٣ ، منشورات العصر الحديث ١٩٧٣م ٠

٦٩ـ ابن منظور (محمد بن مكرم) : لسان العرب ، طبعة بولاق ٠

٧٠ـ النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد) : الناسخ والمنسوخ ، ط١ ، القاهرة ١٣٢٣هـ ٠

٧١ـ ابن النديم (محمد بن اسحاق) : الفهرست ، بيروت (د٠ت) ٠

٧٢ـ نصر الهوريني (أبو الوفا) المطالع النصرية للمطابع المصرية في الاصول الخطية ط٢ بولاق ١٣٠٢هـ ٠

٧٣ـ هبةالله بن سلامة البغدادي : الناسخ والمنسوخ ، (مطبوع بهامش كتاب أسباب النزول للواحدي) مطبعة هندية بمصر ١٣١٥هـ ٠

٧٤ـ ابن هشام (أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري) : السيرة النبوية ، ط٢ ، القاهرة ١٩٥٥م ٠

٧٥ـ الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد) : أسباب نزول القرآن ط١ ، القاهرة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م ٠

٧٦ـ ياقوت الحموى (أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله) : معجم البلدان بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ٠

٧٧ـ ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي) : شرح المفصل ، الطباعة المنيرية بمصر (د٠ت) ٠

المحتوى

المقدمة	٣
الفصل الأول ـ أسماء القرآن وموارد اشتقاقها	٥ ـ ١٤
أسماء القرآن	٧
موارد اشتقاق أسماء القرآن	١١
الفصل الثاني ـ الوحي	١٥ ـ ٣٨
معنى الوحي	١٧
بدء نزول الوحي	٢١
تاريخ البعثة	٢٦
فترة الوحي	٢٨
كيف كان يتلقى النبي القرآن	٣٠
حفظ النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن	٣٣
نزول القرآن منجما والحكمة من ذلك	٣٦
الفصل الثالث ـ كتابة القرآن وجمعه	٣٩ ـ ٧٠
كتابة القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم	٤١
جمع القرآن في خلافة الصديق	٤٦
نسخ المصاحف في خلافة عثمان	٥٢
ترتيب الآيات والسور في المصحف	٦٠
المصحف في الوقت الحاضر	٦٥
الفصل الرابع ـ علم المكي والمدني	٧١ ـ ٧٧
تعريف المكي والمدني	٧٣
طريقة معرفة المكي والمدني	٧٥
أهمية معرفة المكي والمدني	٧٦

الفصل الخامس ـ علم القراءات ٧٩ ـ ٩٥
أصل القراءات القرآنية ٨١
رواية القراءات وأشهر القراء ٨٧
الفصل السادس ـ فواتح السور ٩٧ ـ ١٠٤
فواتح السور القرآنية ٩٩
أقوال العلماء في معنى الحروف المقطعة ١٠٢
الفصل السابع ـ علم أسباب النزول ١٠٥ ـ ١١٤
معنى أسباب النزول ١٠٧
أهمية معرفة أسباب النزول ١٠٩
عموم اللفظ وخصوص السبب ١١١
الطريق الى معرفة أسباب النزول ١١٣
الفصل الثامن ـ علم الناسخ والمنسوخ ١١٥ ـ ١٢٥
تعريف الناسخ وبيان أهمية معرفته ١١٧
حكم الآيات المنسوخة ١١٩
الفرق بين النسخ والبداء ١٢٠
الطريق الى معرفة الناسخ والمنسوخ ١٢١
ما يجوز أن يقع فيه النسخ ١٢٢
من أمثلة النسخ ١٢٣
المصادر ١٢٦

Created in Master PDF Editor - Demo Version

رقم الايداع (٣٤٨) لسنة ٢٠٠٠ م
الكمية (١٥٠٠) نسخة

١٤٢٦هـ - ٢٧٠٥ كوردي - ٢٠٠٥ م

مطبعة الشموع - بغداد

Created in Master PDF Editor - Demo Version